
ملف المستقبل
سرى جدا !!
روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
الشرّ
137
www.liilas.com/vb3
^RAYAHEEN^
المؤسسة العربية الحديثة

الشر

● كيف يمكن أن يواجه البشر شلالاً رهيباً من النيران المنهمرة ؟!

● هل يمكن أن يواجه (نور) و (أكرم) صحراء الشر الرهيبة ، دون خسائر بشرية ؟!

● تُرى من ينتصر في هذه المواجهة الرهيبة .. (نور) وفريقه ، أم قوى (الشر) ؟!

● اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

137



(الأعماق)

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ جدار اللهب ..

خَيَّم وجوم رهيب على تلك القاعة التى تضمّ خيرة علماء وباحثى (مصر) ، العاملين فى إدارة الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، وجميعهم يراقبون تلك الشاشة الكبيرة ، التى تنقل ، بزاوية شبه حادة ، مشهد تلك الأحراش الرهيبة ، فى قلب (إفريقيا) ، التى تضاعفت الانبعاثات الحرارية الصادرة منها ، وكأنها تهضم فى نهم ، تلك البعثة العلمية الأمنية ، التى تضمّ (نور) وفريقه ، والتى ابتلعتها فى جوفها ، منذ سقوط طوّافتهم فيها ..

وفى توتر شديد ، غمغم الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية ، وهو يراقب ما يحدث :

ـ كل شىء يتزايد على نحو مخيف .. الانبعاث الحرارى .. منطقة انعدام الرؤية الرقمية .. رقعة نفوذ ذلك الكاهن المزدوج .. كل شىء .

نطقها ، وعقله يستعيد تلك الأحداث الرهيبة ، منذ البداية ..

منذ افتتاح تلك القاعة الجديدة ، فى متحف الآثار ، عند هضبة أهرامات (الجيزة) ..

يومئذ ، كانت القاعة تعرض بعض الآثار الفرعونية والإفريقية ، التى عثرت عليها البعثة الأولى ، داخل معبد فرعونى غامض ، تحكمه عقيدة سحرة (الفودو) فى قلب الأحراش الإفريقية ..

ومن بين تلك الآثار ، كان إصبع الشيطان ..

إصبع أخضر اللون ، له اظفر دموى مخيف ، يثير الرهبة والرعب فى نفس كل من يراه .. ثم ظهر ذلك الكاهن الرهيب بغتة ..

كاهن يرتدى الزى الفرعونى ، ويتحلَّى بعظام بشرية ، كسحرة (الفودو) ..

ومع ظهوره ، توالت الأحداث العجيبة ..

والرهيبة ..

كل علماء البعثة قضوا نحبهم ، على يدى ذلك الكاهن الرهيب ، بوسائل بشعة مخيفة ، تتجاوز كل حدود العقل والعلم والمنطق ..

كل وثائق وصور وتسجيلات البعثة تم تدميرها تمامًا ..

الأحداث المخيفة الرهيبة توالت ، على نحو لم يحدث من قبل ، إلا فى مواجهة الفريق مع خصم شيطانى سابق(*) ..

وفى أعماق (نور) وفريقه ، اشتعلت نيران أخرى رهيبة ..

نيران الغموض ، والإصرار على إيجاد تفسير علمى منطقى لكل ما حدث ..

ولم يكن هناك سوى سبيل وحيد لهذا ..

بعثة ثانية ..

(★) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

وعلى الرغم من أن مسئولى تلك الدولة الإفريقية ، التى تقع الأحراش المحظورة داخل حدودها ، كانوا يعرفون كل ما يحدث ، إلا أنهم ، وتحت الضغوط الديبلوماسية ، اضطروا لقبول البعثة الثانية ، والموافقة على توغلها وسط أحراش (إفريقيا) ..

ولكن الكاهن الرهيب كان له رأى آخر ..

فمنذ الساعات الأولى لبعثة (نور) وفريقه فى (إفريقيا) ، بدأت المواجهة ..

طوافتهم سقطت عمدًا ، داخل منطقة تتبع نفوذه ..

الأحراش الحية أحاطت بهم من كل صوب ..

ظلام صناعى مخيف سيطر على كل شىء من حولهم ..

هاجمتهم وحوش خفية ..

وأشجار متحركة ..

و ....

وتم اختطاف الجميع ، فيما عدا (نور) و(أكرم) ..

المختطفون واجهوا أمورًا رهيبة ، مفزعة ، مرعبة ، وسط ظلام دامس رطب ..

أمور تمت خلالها السيطرة على عقولهم ..

تمامًا ..

أما (نور) و(أكرم) ، فقد كان عليهما أن يقطعا ذلك الطريق الرهيب ، إلى المعبد الفرعونى ، الخاضع لسحرة (الفودو) ، فى قلب الأحراش الحية ..

وفى سبيل هذا ، واجههم شلال رهيب ..

شلال النار ..

جدار هائل من اللهب ، ينهمر من أعلى إلى أسفل ، على عكس كل القوانين الطبيعية ، ويكاد لفحه وحده يذيبهما من شدته ، وهو يقطع الطريق بينهما وبين المعبد ، حيث يحتفظ الكاهن الرهيب برفاقهم الباقين ..

وعلى الرغم من هذا ، وبمبادرة مذهلة غير مفهومة ، وثب (نور) وسط شلال النار ..

وصرخ (أكرم) يناديه ، بكل رعب الدنيا ..

ولكنه لم يتلق جوابًا ..

أى جواب .. (*)

كل هذا لم يعلمه أى مخلوق ، خارج منطقة الأحراش ..

آخر ما بلغهم ، أو أمكنهم التوصُّل إليه من معلومات ، هو أن طوّافة البعثة قد سقطت فى قلب الأحراش ..

بعدها انقطعت الأخبار تمامًا ..

الشىء الوحيد ، الذى رصده بعدها ، هو ما يحدث للأحراش نفسها ، من اتساع فى رقعة النفوذ ، ومنطقة انعدام الرؤية الرقمية ، والانبعاث الحرارى ، الذى صنفه الكمبيوتر باعتباره أشبه بعملية من عمليات الجسد البشرى الحيوية ..

(★) لمزيد من التفاصيل راجع الجزأين الأول والثانى (فودو) و(الأحراش الفسفورية) .. المغامرتين رقمى (١٣٥) و (١٣٦) .

عملية الهضم ..

وكان هذا يعنى أن الأحراش الرهيبة الغامضة تهضم البعثة ..

بعثة (نور) وفريقه ..

« ماذا ينبغى أن نفعل إزاء هذا .. »

ألقى أحد علماء المركز السؤال ، هلى مسامع الدكتور (جلال) ، فانتزعه من أفكاره ، وجعله يمطّ شفتيه فى أسى ، مغمغمًا :

ـ وما الذى يمكننا أن نفعله ؟!

اندفع عالم آخر ، يقول فى انفعال :

ـ رجالنا يحتاجون إلى دعم منا حتمًا ، فى ذلك الجحيم ، الذى أرسلناهم إليه ..

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية مريرة :

ـ هذا لو أنهم ما زالوا على قيد الحياة .

أعادت عبارته الوجوم إلى المكان ، وراح الكل يتطلّع بعضهم إلى البعض ، بنظرات ملؤها الرعب والارتياع ، قبل أن يقول أحدهم بغتة :

ـ إنهم كذلك .

التفت إليه الجميع ، فى لهفة تمتزج بالدهشة ، وسأله الدكتور (جلال) :

ـ وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟!

أشار الرجل إلى الشاشة ، قائلاً فى حماسة :

ـ عمليةِ الهضم هذه .

تطلّع الجميع إلى الشاشة ، التى يشير إليها ، قبل أن يعودوا بأبصارهم إليه ، فتابع بنفس الحماسة :

ـ استمرارها يعنى أن الأمر لم ينته بعد .

استدار الدكتور (جلال) بحركة حادة ، يحدّق فى الشاشة ثانية ، قبل أن يغمغم فى توتر شديد :

ـ ولكنها بدأت .

ضرب العالم سطح مكتبه بقبضته ، وهو يهتف فى حزم :

ـ ومازالت أمامنا فرصة لمنعها .

ثم استدرك فى انفعال :

ـ لو وجدنا الوسيلة المناسبة .

تألقت عينا الدكتور (جلال) وهو يستدير إليه بنفس الحدة ، قائلاً بحزم أكبر :

ـ لن تكون لنا مهمة سوى هذا .

ثم تحرّك وسط العلماء ، متابعًا بكل الحماسة ، التى تفوح بلمحة أمل :

ـ سنوقف كل المشاريع الأخرى فورًا ، ونؤجّل المهم منها إلى ما بعد حسم هذه القضية .. الكل سيعيد دراسة الموقف منذ البداية ، بوجهة نظر جديدة ، وبالذات تلك الظاهرة الخاصة بالانبعاث الإشعاعى الحيوى .. سندرسها على كل المستويات ، وبكل الوسائل ، وعلى كل

الاحتمالات ، وستكون مهمة مركز الأبحاث العلمية الأولى هى البحث عن وسيلة للسيطرة عليها أو تحييدها على الأقل ، و ...

قاطعه هتاف أحد العلماء المذعور ، وهو يشير إلى شاشة الرصد الحرارية :

ـ يا إلهى ! انظروا !

استدار الجميع بحركة حادة ، وانفعال جارف ، إلى الشاشة ..

وانتفضت أجسادهم كلها بمنتهى العنف ، وقلوبهم تهوى بين أقدامهم ..

فجأة ، ودون مقدمات ، تضاعف الانبعاث الإشعاعى الحيوى ، الصادر من تلك الأحراش الوحشية الحية ..

تضاعف على نحو يوحى بأن أمرًا خطيرًا عنيفًا يحدث هناك ..

عنيفًا للغاية ..

* * *

لنصف دقيقة كاملة ، حدّق (أكرم) فى شلال النار بذهول ، وقلبه يرتجف بين ضلوعه فى عنف ، قبل أن تنطلق انفعالاته من أعمق أعماق صدره ، فى صرخة قوية مرتاعة :

ـ يا إلهى ! (نور) !!!

لم يكد ينطقها ، حتى التقطت أذناه صوتًا بعيدًا ضعيفًا يهتف باسمه ، فانتفض جسده فى عنف ، وهتف فى شىء من الذهول :

ـ (نور) ؟!

مرة أخرى ، تردّد النداء فى أذنيه ..

كلاّ .. ليس فى أذنيه ..

فى عقله ..

نعم .. فى أعمق أعماق خلايا مخه الرمادية ..

وانعقد حاجباه فى توتر بالغ ، وجسده يرتجف من فرط الانفعال ، الذى اكتسى به لسانه ، وهو يقول فى عصبية زائدة :

ـ (نور) ؟! أهو أنت ؟!

ارتفعت نبرة الصوت أكثر فى أعماقه ، وهو يقول :

- لاتخف يا (أكرم) .. اقفز .. اقفز كما فعلت أنا .. هيا .

حدَّق (أكرم) فى شلال النار المنهمر ، وكرَّر فى ارتياع :

- أقفز ؟! وسط جدار النار هذا ؟! مستحيل !

مرة أخرى ، تردَّد الصوت فى أعماقه باهتًا ضعيفًا :

- لاتخف يا (أكرم) .. اقفز .

انعقد حاجباه أكثر ، وسرى توتر رهيب فى عروقه ، وراح جسده يرتجف أكثر وأكثر ، على الرغم من الحرارة الشديدة ، التى تلفح جسده ، من النيران المنهمرة على مسافة أمتار قليلة منه ..

ولكن عقلة انطلق يعمل كالصاروخ ..

ترى ما الذى يتردَّد فى أعماقه بالضبط ؟!

أهو (نور) ، يستغل تلك القدرة العقلية ، التى

اكتسبها بغتة ، والتى قرأ بوساطتها أفكاره منذ قليل ؛ ليرشده برسالة تخاطرية ، عما ينبغى أن يفعله ، ليتجاوز شلال النار ؟!

أم أنها خدعة جديدة ، من ذلك الكاهن الرهيب ؟!

خدعة لدفعه إلى قلب النيران ، كما فعل مع (نور) ..

ربما كانت تلك القدرة العقلية هى أساس الخدعة ..

ربما ..

ذلك الكاهن أكسبه إياها ، حتى يدفعه برسالة وهمية إلى القفز وسط النيران الرهيبة ..

ربما أن هذا ما حدث بالفعل ..

وما دفع (نور) إلى القيام بتلك القفزة الجنونية !

والآن تتكرَّر اللعبة معه ..

هذا هو التفسير المنطقى لما يحدث ..

خاصة وأن (نور) قد اختفى تمامًا وسط اللهب ، ولم يعد يجيب نداءاته ..

ولكن مهلاً ..

إنه أيضًا لم يطلق صرخة واحدة ..

لقد قفز وسط نيران مستعرة ، يكاد لفحها يشعل ثيابه ، دون أن يطلق صرخة ألم واحدة !!

وهذا مستحيل !

لا آلام تفوق آلام النار[*] .

لهذا توعّد بها الله (سبحانه وتعالى) الكفار والمشركين والمذنبين ..

ومن المستحيل أن يسقط شخص ـ أى شخص ـ وسط نيران رهيبة كهذه ، دون أن يطلق ولو صرخة واحدة !

مستحيل !

مستحيل !

مستحيل !

(★) حقيقة .

هذا يعنى أن الاحتمال الأوّل هو الأرجح ، على الرغم من غرابته ، وتعارضه الشديد مع العقل والمنطق ، وكل قواعد العلم المعروفة ..

« اقفز يا (أكرم) .. اقفز .. »

تردّد النداء فى أعماقه مرة أخيرة ، بصوت باهت للغاية ، تلاشت نهايته دون أن تكتمل ، فانتفض جسده مرة أخرى ، وزاد انعقاد حاجبيه ، حتى كادا يمتزجان ، وهو يعتصر ذهنه وإرادته لاتخاذ القرار ..

أخطر قرار فى حياته كلها ..

قرار بأن يقفز بإرادته وسط أكثر شىء أثار رهبته وخوفه ، فى حياته كلها ..

شلال النار ..

وبصعوبة بالغة ، ازدرد لعابه ، وتمتم مكررًا العبارة ، التى تتردّد فى أعماقه :

ـ اقفز يا (أكرم) .. اقفز ..

تراجع فى توتر شديد ، ووقف يتطلّع برهبة بالغة إلى شلال النار ، قبل أن يضمّ شفتيه ، متمتمًا فى خفوت وحزم شديدين :

ـ على بركة الله .

ودون أى سبب منطقى ، انطلقت من حلقه صرخة عالية ، وهو يندفع بكل قوته نحو شلال اللهب ، و ...

ويقفز ..

بحركة غريزية ، رفع ذراعيه ليحمى وجهه ، من لفح النيران الرهيب ، وجسده يندفع عبر النيران ، و ...

وفجأة ، تلاشى اللفح دفعة واحدة ..

ودون ذرة ألم واحدة ..

وفى لحظة عبوره ألسنة اللهب المنهمرة ، رأى (نور) ..

رآه يقف على حافة أخرى ، خلف شلال النار ..

نفس الحافة التى هبط بقفزته فوقها ، وهو يهتف فى انفعال شديد :

ـ رباه ! لقد فعلتها يا (نور) .. فعلتها .

ابتسم (نور) ، وهو يضع يده على كتفه فى ارتياح ، قائلا :

ـ نعم يا صديقى .. لقد فعلناها .

استدار (أكرم) يتطلّع إلى شلال النار من الجانب الآخر ، هاتفًا :

ـ ولكن كيف يا (نور) ؟! كيف ؟! لقد عبرنا جدارًا من اللهب ، دون ذرة ألم واحدة !! كيف ؟!

أشار (نور) إلى شلال النار ، قائلاً :

ـ إنها ليست نارًا حقيقية يا صديقى ، بل مجرد خداع بصرى ضوئى فحسب .

اتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، وهو يهتف معترضًا :

ـ مستحيل ! لقد شعرنا بلفحها الرهيب !

ابتسم (نور) ، قائلاً :

ـ هنا تكمن براعة الخدعة يا صديقى .. اللفح ..

تيار من هواء ساخن ملتهب ، أمام جدار من اللهب الزائف ، يوحى بأنك تواجه شلالاً من النار .

حدّق (أكرم) فيه بذهول ، وعاد يتطلّع إلى شلال النار ، مغمغمًا :

ـ مستحيل !

ثم هزّ رأسه فى شدة ، وكأنما ينفض عنه ذهوله ، قبل أن يهتف :

ـ ولكن كيف ؟! كيف أدركت هذا ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، مجيبًا :

ـ لم أدركه ، ولكننى استنتجته .

غمغم (أكرم) مبهورًا :

ـ استنتجته ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ لفح النيران كان يهبّ فى وجهينا ، وكأنما تدفعه

الرياح نحونا ، فى حين أن ألسنة اللهب تنهمر ، من أعلى إلى أسفل .. وانهمارها على هذه الصورة أثار شكوكى منذ البداية ، لأنه يخالف كل نظم وقواعد الطبيعة .

همهم (أكرم) فى عصبية :

ـ كل ما واجهناه هنا يخالف كل نظم وقواعد الطبيعة ، والكيمياء ، وحتى علم الحشرات .

هزّ (نور) كتفيه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، ولكن شيئًا ما فى أعماقى أنبأنى بأن هذه النيران ليست حقيقية .

سأله (أكرم) فى اهتمام متوتر :

ـ شىء مثل ماذا ؟!

تنهّد ، وهو يهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ لست أدرى .

حدّق (أكرم) فى وجهه لحظة ، ثم سأله فى اهتمام عجيب :

- وهل وثبت عبر النيران ، اعتمادًا على استنتاجك ، وذلك الشىء الغامض فى أعماقك فحسب ؟!

أومأ (نور) برأسه ، قائلاً :

- ألا يكفى هذا ؟

سأله فى اهتمام أكثر :

- هل تثق باستنتاجاتك إلى هذا الحد ؟!

ابتسم (نور) ، وربَّت على كتفه ، قائلاً :

- ألم تدرك هذا أبدًا يا صديقى ؟!

تراجع (أكرم) ، وهو يتطلَّع إليه ، مجيبًا بأنفاس مبهورة :

- بل أدركته .

وصمت لحظة ، ثم هزَّ رأسه ، مضيفًا :

- ولكننى لم أتصوَّر أن يبلغ حد القفز وسط النيران .

ومط شفتيه ، ليتابع فى عصبية :

- ثم كيف ..

استوقفه (نور) بإشارة من يده ، قائلاً :

- رويدك يا صديقى .. أيًّا كانت ماهية ذلك الشىء ، فقد عبرناه بالفعل ، ومن العجيب أن ينشغل ذهنك بأمره ، حتى لا تنتبه إلى ما نواجهه هنا .. على الجانب الآخر .

تتبع (أكرم) إشارة يد (نور) ببصره ، و ...

واتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ..

فعلى الرغم من الظلام ، الذى يسود ذلك الجانب أيضًا ، إلا أن عينى (أكرم) أمكنهما تمييز ما يمتدّ أمامه ، إلى مدى الرؤية ..

لقد كان صحراء ..

صحراء قاحلة مخيفة ..

فى قلب الأحراش .

* * *

٢ ـ الصحراء ..

لم يكد (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ، يدخل مكتب الرياسة ، فى قلب (القاهرة) الجديدة ، حتى سأله الرئيس ، فى لهفة متوترة :

ـ (أمجد) .. هل بلغتك أخبار بعثتنا فى (إفريقيا) ؟!

أومأ (أمجد) برأسه إيجابًا ، وهو يجيب فى حزم :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس ؛ فهذا جزء من طبيعة عملى .

عاد الرئيس إلى مقعده ، وهو يسأله فى قلق شديد :

ـ ما تقييمك للموقف إذن ؟!

أجابه (أمجد) فى سرعة وحزم :

ـ فى منتهى السوء .

أخذ الرئيس بالجواب الصريح المباشر ، فحدّق فى وجه (أمجد) ، مغمغمًا :

ـ إلى هذا الحد ؟!

بدا (أمجد) غاضبًا إلى حد ما ، وهو يجيب :

ـ الواقع يا سيادة الرئيس أن هذا السؤال كان ينبغى أن يسبق الحملة ، لا أن يعقبها ، فمن وجهة نظرى كمستشار أمنى لسيادتكم ، وكرجل مخابرات سابق ، أرى أن الحماسة قد جرفت الجميع ، للقيام بعملية عاجلة حاسمة ، لكشف ذلك الهرم من الغموض والأسرار ، الذى خلفه ذلك الكاهن وراءه ، بعد تلك الأمور الرهيبة ، التى قام بها ، دون أن ينتبه شخص واحد إلى مدى ما تعنيه هذه العملية ، وما تحمله من مخاطر بلاحدود .

غمغم الرجل :

ـ جميعهم كانوا يعرفون مدى الخطر .

أشار (أمجد) بسبّابته ، قائلاً :

- ربما بالنسبة لأنفسهم ، ولكن ليس بالنسبة للنظام كله .

هتف الرئيس مستنكرًا :

- النظام ؟! وما شأن النظام ؟!

تحرّك (أمجد) فى الحجرة ، كعادته كلما اقترن تفكيره بحديثه ، وهو يقول :

- المعلومات التى تم جمعها على عجل ، تؤكد أن تلك الدولة الإفريقية كلها تعلم بأمر ذلك الكاهن ، منذ زمن طويل للغاية ، وكلهم هناك يخشونه ، ويخشون مجرد التحدث عنه .. حتى المسئولين ، على كل المستويات ، وهذا يعنى أن بعثتنا ستواجه العداء منذ اللحظة الأولى ، باعتبارها مجموعة أجنبية ، تسعى لتلويث (أرض الأرواح الخالدة) ، كما يطلقون عليها الآن .. وحتى يتم تفادى هذا ، بكل ما يمكن أن يحمله من تبعات ، كان من الضرورى القيام بعملية تمهيدية ، بوساطة مخابراتنا العامة ، قبل وصول البعثة إلى هناك .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول فى عصبية :

- ولكن هذا لم يحدث ، والأمور تعقّدت بشدة الآن ، ولسنا ندرى ما الذى تواجهه بعثتنا ، فى قلب تلك الأحراش الإفريقية الرهيبة .. بل ولا ندرى حتى ما إذا كانوا على قيد الحياة ، أم ابتلعتهم تلك الأحداث الجهنمية هناك ، فهل سنبكى على اللبن المسكوب ، أم نبحث عن حلّ لذلك الموقف الغامض المخيف ؟!

هزّ (أمجد) رأسه فى بطء ، قائلاً فى حزم :

- ومتى كان للبكاء على اللبن المسكوب فائدة ؟!

ثم بدا صارمًا حازمًا ، وهو يضيف :

- منذ حداثتى ، تعلّمت أن الخطوة الأولى ، للقيام بعملية ناجحة ، هى المعلومات .. معلومات عن كل ما يتعلّق بالخصم أو بالعملية نفسها .

قال الرئيس فى شىء من اليأس :

- لقد بذل خبراؤنا كل جهد ممكن ، ودرسوا وحلّلوا

كل ما أمكنهم الحصول عليه من نتائج ، إلا أن هذا لم يمنحهم أية معلومات ، فتلك الأحراش كثيفة إلى حد مدهش ، وغامضة إلى حد مخيف ، ثم إن كل شىء فيها يسير على نمط غير طبيعى ، إلى الحد الذى يستحيل معه استنتاج أو استنباط أى أمر يختصّ بها ، وبما يحدث داخلها .

انعقد حاجبا (أمجد) بشدة ، وهو يغمغم فى تفكير عميق :

- فى الحالات المماثلة ، كنا نلجأ قديمًا إلى عمليات الاستطلاع المباشر .

تمتم الرئيس مستفسرًا :

- عمليات استطلاع مباشر ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

- نعم .. فى الأيام الخوالى ، عندما كنا نفشل فى اختراق نظام منيع ؛ للحصول على المعلومات ، كنا نلجأ إلى عملية انتحارية ، نرسل من خلالها فريقًا

مدربًا ، للحصول على المعلومات من المصدر مباشرة ، ونقلها إلى قسم معلوماتنا .

بدا الاهتمام على رئيس الجمهورية ، وهو يقول ، وقد استهوته الفكرة إلى حد كبير :

- ولكن تلك الدولة الإفريقية لن تقبل أى تدخُّل منا ، يحمل أية صفة عسكرية ، أو شبه عسكرية ، ثم إنه هناك مشكلة أخرى ، وهى أن منطقة الأحراش تدخل ضمن ما أطلقنا عليه اسم منطقة العدم ، وانعدام الرؤية الرقمية ، وهذا يعنى أنه لا توجد وسيلة واحدة لنقل المعلومات ، من داخلها إلى خارجها ، ولا حتى لتشغيل أية أجهزة متطوّرة هناك .

قال (أمجد) فى حزم :

- ربما كانت هذه مشكلة ، بالنسبة لرجال المخابرات العلمية ، الذين اعتادوا التعامل دومًا مع التكنولوجيا والأجهزة المتطوّرة ، وحتى بالنسبة لرجال قوات الصاعقة الحاليين ، الذين تدرّبوا على استخدام أجهزة الرؤية الليلية ومدافع الليزر .. ولكن ماذا لو اعتمدنا

على شخص ينتمى إلى الطراز التقليدى القديم ؟ شخص يهبط بمظلة ، خلف خطوط العدو ، ويجمع المعلومات بأسلوب نمطى ، مع قدرته على التعامل مع أية تطورات مفاجئة فى الوقت ذاته ، بحيث يعود بالمعلومات ، أو يشارك فى إنقاذ أو مؤازرة (نور) وفريقه ، وأفراد بعثته هناك .

تساءل الرئيس فى حيرة :

- وأين نجد مثل هذا الرجل الآن ؟!

التقط (أمجد) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب بمنتهى الحزم :

- هنا .

تطلَّع إليه الرئيس لحظة فى تساؤل ، قبل أن تتسع عيناه فى شدة ، وقد أدرك ما يعنيه (أمجد) بقوله ..

ومن المؤكَّد أن هذا كان بالنسبة إليه مفاجأة !!

مفاجأة مدهشة !

* * *

لدقيقة كاملة ، وقف (نور) و(أكرم) يتطلعان فى قلق شديد إلى تلك الصحراء العجيبة ، التى تمتدّ إلى مدى الرؤية ، وسط ذلك الظلام المهيب ، وعلى نحو يستحيل وجوده فى الطبيعة ، وسط أحراش كثيفة كهذه ..

ثم غمغم (أكرم) ، فى توتر بالغ :

- الدكتور (مينا) لم يشر قط إلى هذه الصحراء !

قال (نور) ، فى توتر مماثل :

- ربما لم تكن هنا ، عندما قاموا ببعثتهم الأولى .

استدار إليه (أكرم) فى حدة ، هاتفًا باستنكار :

- لم تكن هنا ؟!

غمغم (نور) :

- ربما .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

- المهم أن نمضى فى طريقنا ، فمن المؤكَّد أن رفاقنا ينتظروننا فى مكان ما .. فى قلب هذه الصحراء ، أو خلفها .



لدقيقة كاملة ، وقف (نور) ، و(أكرم) يتطلعان فى قلق شديد إلى تلك الصحراء العجيبة ..

قالها ، ومضى فى سبيله بالفعل ، فتبعه (أكرم) ، متسائلاً فى عصبية :

ـ هل تعتقد أنهم ينتظروننا بالفعل ؟!

سأله (نور) ، وهو يسير فوق رمال تلك الصحراء الغامضة :

ـ ماذا تعنى بسؤالك ؟!

ازدرد (أكرم) لعابه فى توتر ، قبل أن يقول فى عصبية أكثر :

ـ أعنى أما زالوا على قيد الـ ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فعضَّ شفتيه فى مرارة ، ثم هتف فى غضب :

ـ آه لو وقع ذلك الكاهن الحقير فى قبضتى .. سأجعله يندم على لحظة مجيئه إلى عالمنا .

انعقد حاجبا (نور) ، وقد جذبت العبارة انتباهه واهتمامه إلى حد كبير ..

لحظة مجيئة إلى عالمنا !

تُرى كم تحمل عبارة (أكرم) هذه من حقائق ؟!

كم يمكن أن تقترب من واقع الأمور ؟!

القوة الرهيبة ، التى يتمتَّع بها ذلك الكاهن توحى بأنه لا يمكن أن ينتمى إلى عالمنا ..

وبأى حال من الأحوال ..

فهل يمكن أن ينتمى إلى عالم آخر بالفعل ؟!

هل ؟!

ولو أنه كذلك ، فمتى جاء إلى عالمنا ؟!

وكيف ؟!

ولماذا ظلَّ لسنوات ، لايعلمها إلا اللّه (سبحانه وتعالى) ، دون أن يشعر بوجوده أحد ؟!

ثم لماذا انتفض من صمته بكل هذا العنف ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

تُرى هل استولت البعثة الأولى على أشياء ، يمكن أن تكشف هويته أو منشأه ؟!

لقد سمح لهم بتصوير وتسجيل كل ما يحدث فى منطقة نفوذه ، وهذا يعنى أن أجهزتهم كانت تعمل هناك ، وأن ما يسجلونه لم يكن يقلقه ، بأى حال من الأحوال ..

ولكن ما إن سرقوا مقتنياته ، حتى جن جنونه ..

وانطلق خلفهم كألف شيطان ..

وبكل قوته وطاقته ، قرَّر استعادة تلك الأشياء ..

وعلى رأسها ذلك الإصبع المخيف ..

إصبع الشيطان ..

لقد جهر بوجوده ، أمام أعين المئات ، ليستعيده ..

وبأى ثمن ..

وهذا يعنى أن ذلك الإصبع يمثل بالنسبة إليه أهمية بالغة ..

وللغاية ..

بل كل الأهمية ..

حتى تلك الجمجمة ، التى أغرقت الدكتور (حجازى) والدكتور (عبادة) فى تجربة رهيبة ، لم تكن تمثل له الأهمية نفسها ، بأى حال من الأحوال ..

صحيح أنه قد استعادها أيضًا ، ولكنه لم يسع إليها بنفس العنف والشراسة أبدًا ..

وهذا يعنى أن لإصبع الشيطان أهمية خاصة ..

خاصة جدًا ..

« يا إلهى ! (نور) !! »

انتزعه هتاف (أكرم) المباغت من شروده وأفكاره ، فاستدار إليه فى سرعة متوترة ، ولكنه رآه يشير فى انفعال إلى قلب الصحراء ، فعاد بعينيه إلى حيث يشير ، و ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

فما رآه أمامه ، فى قلب تلك الصحراء الغامضة كان مفاجئًا ومذهلاً ..

وإلى أقصى حد !

* * *

فجأة ، ودون مقدمات ، استعاد (رمزى) شعوره بما حوله ..

لم يكن نائمًا ، أو فاقد الوعى ، وإنما خُيِّل إليه أن كيانه كان غائبًا ، ثم عاد إلى جسده بغتة ، فانتفض ، واعتدل ، و ...

وشعر ..

وكان من الواضح أن هذا ما حدث للجميع ، فى آن واحد ..

كانوا كلهم يقفون داخل قاعة المعبد الواسعة ، بمحاذاة جدرانه المرتفعة ، ذات النقوش الهيروغليفية ، الممتزجة برموز سحرة (الفودو) ، وقد استعادوا أزياءهم القديمة ، وإن بدت وجوههم شاحبة ممتقعة على نحو عجيب ...

وفى منتصف تلك القاعة ، كان يستقر ذلك المذبح ، الذى يحمل آثار الدماء ..

وفى نهاية المعبد ، حيث الجدار الضخم ، المزدان

بنقوش شيطانية ، كانت تستقر تلك العلبة الزجاجية البدائية ، فوق عمود من الحجر ، وبداخلها تلك الإصبع الأخضر ، ذو الإظفر الأحمر بلون الدم .

إصبع الشيطان ..

وعلى مسافة متر واحد منه ، فى اتجاه مركز القاعة ، كان هناك وعاء ضخم من النحاس ، تشتعل تحته النيران ، وينبعث منه دخان خفيف ، ينتشر فى المكان كله بنعومة مخيفة .

وبكل توترها وانفعالها ، هتفت (نشوى) :

ـ أين نحن ؟!

أجابها الدكتور (حجازى) فى عصبية :

ـ فى المعبد المزدوج على الأرجح .

تطلَّعت (سلوى) إلى ما ترتديه فى دهشة ، قبل أن تهتف :

ـ ولكننا نرتدى ثيابنا العادية ! عجبًا .. ذاكرتى تصرّ على أننى كنت أرتدى زيًّا فرعونيًّا ، و ...

ارتجف جسدها مع صوتها ، وهى تضيف فى رعب :

ـ وأننى قد التقيت بـ (نور) ، فى قلب الأحراش ..

هتف الدكتور (عبادة) بكل عصبية الدنيا :

ـ كلنا تحمل ذكرى تلك الأزياء الفرعونية .. لاريب فى أنها تجربه حقيقية مررنا بها .

قال المقاتل (أشرف) فى توتر :

ـ تجربة التأمت معها كل جروحنا ، وشفيت كل إصاباتنا على نحو عجيب .

حرَّك الدكتور (رمسيس) ساقه ، وهو يقول فى دهشة :

ـ هذا صحيح .

تلفَّت المقاتل الآخر (ماجد) حوله فى توتر ، قبل أن يقول :

ـ ولكن لماذا نقف جامدين هنا هكذا ؟!

قالها ، وتحرَّك من مكانه ، و ...

وفجأة ، انطلقت من حلقه صرخة ألم هائلة ، وهو يتراجع إلى حيث كان ، صائحًا فى حدة :

- ماذا يحدث ؟!

أجابه (رمزى) بكل توتره :

- لو نظر كل منكم حول قدميه ، لرأى دائرة فضية تحيط به .. ومن الواضح أن هذه الدائرة هى النطاق ، الذى يمكننا التحرك فيه ، فإذا ما حاولنا تجاوزه ، تنقضّ علينا تلك الآلام الرهيبة ، التى صرخ من هولها النقيب (ماجد) .

سألته (مشيرة) فى ذعر :

- هل يعنى هذا أننا سنظلّ واقفين هنا إلى الأبد ؟!

قال الدكتور (حجازى) ، فى سخرية مريرة :

- لو أن هذا كل ما يقلقك ، فالدائرة تتسع للجلوس أيضًا .

صاحت به فى عصبية :

- كيف يمكنك أن تمزح ، فى ظل هذه الظروف ؟!

قال فى مرارة شديدة :

- وما الذى يمكننى أن أفعله سوى هذا ؟!

قالت (سلوى) فجأة فى انفعال شديد :

- مهلاً .. هل لاحظتم هذا ؟!

التفت إليها الجميع فى تساؤل قلق ، فتابعت فى سرعة :

- أشعة الشمس تتسلّل عبر الفتحات العليا للمعبد .

رفع الجميع أبصارهم إلى تلك الفتحات الصغيرة ، التى تتسلّل عبرها أشعة الشمس الذهبية ، وقال (رمزى) :

- رباه ! هذا صحيح .. لقد تجاوزنا مرحلة الإظلام الشيطانى .

قال الدكتور (حجازى) فى لهفة :

- تُرى هل يسرى هذا على الآخرين ؟!

سأله الدكتور (رمسيس) فى حذر :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

ـ أتحدث عن (نور) و(أكرم) .

هتف الدكتور (عبادة) فى عصبية :

ـ هل تتصوَّر أنهما ما زالا على قيد الحياة ؟!

صاحت (سلوى) فى غضب :

ـ إنهما كذلك بالتأكيد .

أطلق نقيب البيطريين ضحكة ساخرة عصبية ، وهو يقول :

ـ هذا ما تتمنينه ، وليس ما يعبِّر عن الواقع .

صاحت (نشوى) :

ـ إياك أن تتحدث عن أبى بهذه الانهزامية !

وهتفت (مشيرة) فى غضب :

ـ ولا عن زوجى .

أطلق الرجل ضحكة أكثر عصبية ، وقال فى عنف :

ـ يا للسخافة ! تتحدثن كما لو أننا نناقش انتخابات نادى هواة جمع الطوابع ! ألم تدركن ما نحن فيه بالضبط ؟! لقد سقطنا فى قبضة شيطان .. هل تفهمننى ؟! هل تفهمون جميعًا .. إننا فى قبضة شيطان .. شيطان يعبث بنا ، كما يعبث القط بالفأر ، قبل أن يضمَّ قبضته ويسحقنا جميعًا .

كلماته العنيفة المحنقة أيقظتهم من سبات معنوى ، على حقيقة رهيبة مخيفة ..

حقيقة أنهم بالفعل فى قبضة شيطان ..

شيطان لا يرحم ..

أبدًا ..

وعندما يقفون مسجونين ، وسط تلك الدوائر الجهنمية ، فهم يجهلون تمامًا المصير الذى ينتظرهم ..

ولكن المستقبل يبدو مظلمًا ..

مظلمًا بحق ..

وفى توتر شديد ، غمغم المقاتل (ماجد) :

ـ وماذا لو وثبنا خارج هذه الدائرة ؟!

هتف به (رمزى) فى توتر :

ـ حذار أن تفعل .. تلك الكاهن لايعبث .. ولايرحم .

انعقد حاجبا (ماجد) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هناك حتمًا وسيلة ما ، لتجاوز هذا الحصار الخفى .. من المستحيل أن يمتدّ التأثير إلى مسافة واسعة .

تطلَّع إليه الجميع فى قلق شديد ، فى حين قال (رمزى) فى توتر أكثر :

ـ لا تفعل شيئًا .

ولكن المقاتل استنفر قواه كلها ، وهو يقول فى حزم يمتزج بعصبيته :

ـ التجربة هى الوسيلة الوحيدة ، لحسم هذا الأمر .

صاح (رمزى) :

ـ حذار أن تُقدم على أية خطوة حمقاء .. قد يقتلك هذا .

بدا (ماجد) شديد الحزم والصرامة والإصرار ، وهو يتحفَّز ، قائلاً :

ـ الموت أهون من الاستسلام لهذا السجن الوهمى السخيف .

قالها ، ثم وثب بغتة خارج الدائرة ، فصرخ (رمزى) فى ارتياع :

ـ لا .. لا ..

مع صرخته ، انتفض جسد المقاتل (ماجد) فى عنف ، وانطلقت من حلقه صرخة ألم هائلة ، امتزجت بصرخة (رمزى) البائسة اليائسة ..

وأمام العيون الذاهلة المذعورة ، سقط (ماجد) أرضًا ، وراح يتلوّى بآلام مبرحة ، وصرخات رهيبة ، فصاح به (رمزى) :

ـ عد يا (ماجد) .. عد إلى الدائرة .. عد ..

كان من الواضح أن المقاتل يعانى آلامًا لاقبل للبشر بها ، فقد زحف بصعوبة بالغة ، وهو يتلوّى فى عنف ، محاولاً العودة إلى الدائرة الفضية ..

ثم صرخت (نشوى) فى رعب ، عندما اشتعلت النيران فجأة فى طرف حذائه ، وشهقت (سلوى) ، مع الوهج الذى انبعث من جسده كله ، فى حين هتفت (مشيرة) بكل رعب الدنيا :

ـ يا إلهى .. إنه .. إنه ..

لمس المقاتل (ماجد) تلك الدائرة الفضية ، قبل أن تتمّ عبارتها ، وصرخات الألم ، التى تنطلق من حلقه ، تتزايد ، وتتزايد ، و ...

وفجأة ، اشتعلت النيران فى جسده كله دفعة واحدة ..

وشهق الرجال ..

وصرخت (سلوى) و(نشوى) .

أما (مشيرة) ، فقد اتسعت عيناها عن آخرهما ، ثم انهارت فاقدة الوعى ..

كان نصف جسدها بالفعل خارج الدائرة الفضية ، ورأسها يلمس حافتها ، على نحو جعل (سلوى) تقول بدهشة حقيقية :

ـ يا إلهى ! هذا صحيح .

هتفت (نشوى) :

ـ ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى شدة ، وهو يتطلّع إلى (مشيرة) الفاقدة الوعى ، وأجابها فى بطء ، وكأنما يزن أفكاره وكلماته بدقة :

ـ التفسير العلمى المنطقى الوحيد ، هو أن فقدان الوعى يوقف التأثير القاتل لتلك الدوائر الفضية .

قال (رمزى) فى انفعال :

ـ أو أن إدراكنا هو الذى يمنح الدوائر الفضية قوتها ، وتأثيرها المدمّر .

قالت (سلوى) فى قلق شديد :

ـ أيًا كان السبب ، ماذا سيحدث لو استعادت (مشيرة) وعيها الآن ، ونصف جسدها خارج الدائرة ؟!

تطلع الدكتور (حجازى) و(رمزى) إلى بعضهما فى ارتياع ، وعادا يتطلعان فى ذعر إلى (مشيرة) ، التى بدأت تتململ فى سقطتها ، على نحو يوحى بأنها قد بدأت فى استعادة وعيها بالفعل ..

أما الباقون ، فقد هوت قلوبهم بين أقدامهم ، وهم ينقلون أبصارهم فى رعب ، بين جسد (مشيرة) ، وبقايا المقاتل (ماجد) المحترقة ..

فالنتيجة المنتظرة كانت واضحة كالشمس ..

واضحة ومخيفة ..

للغاية .

* * *

٣ ـ المقاتل ..

« إننا نقترب من الهدف .. »

انطلقت العبارة من بين شفتى قائد الطائرة الخاصة ، من ذلك الطراز الذى يستحيل رصده(*) ، وهى تحلق على ارتفاع شاهق للغاية ، فوق أحراش تلك الدولة الإفريقية ، فى طريقها إلى منطقة العدم ، التى تتوقف فى مجالها كل الأجهزة ، وتنعدم كل الاتصالات ، فالتقط (أمجد) داخلها نفسًا عميقًا ، وقال فى حزم :

ـ واصل طريقك ، حتى نبلغ الهدف .

كان الطيار يشعر بقلق حقيقى ، وهو يتجه بطائرته عمدًا ، نحو أخطر منطقة طيران فى العالم ، لذا فقد راجع أجهزة طائرته الأساسية والاحتياطية ، قبل أن يغمغم :

ـ على بركة الله .

(*) الطائرات غير القابلة للرصد ، هى طائرات ذات تصميم خاص ، يمنع رصدها بوساطة موجات الرادار ، كما يتم طلاؤها بطلاء خاص شديد السواد ، بحيث يمتص كل الضوء والأشعة ، دون أن يعكس ذرة واحدة منهما .

أما (أمجد صبحى) نفسه، فقد راجع أجهزته وحقيبة مظلته، وهو يراجع الخطة التى وضعها بنفسه، لاقتحام تلك الأحراش الرهيبة، وجمع كل المعلومات الممكنة عنها، أو التدخل عند الحاجة ..

وعلى الرغم من خطورة الموقف، إلا أنه ـ وكعادته منذ زمن طويل ـ لم يحمل أية أسلحة نارية، وإنما اكتفى بخنجر واحد، وكأنما هو فى طريقه إلى نزهة أو رحلة صيد، وليس إلى مهمة رهيبة كهذه ..

ومع اقتراب الطائرة من منطقة العدم، قال مسئول القفز فى توتر :

ـ أأنت مستعد يا سيادة المستشار ؟!

أومأ (أمجد) برأسه إيجابًا، وهو يقول مبتسمًا :

ـ (أمجد) أيها المقدّم .. أفضّل أن تخاطبنى باسم السيّد (أمجد) .

مطّ مساعد مسئول القفز شفتيه، وكأنما يحنقه أن يبتسم (أمجد)، وهو فى طريقه إلى مهمة كهذه، فى حين قال المسئول نفسه فى احترام :

ـ فليكن يا سيّد (أمجد) .. أظننا سنبلغ الهدف خلال دقيقة واحدة، حسبما تقول الشاشة .

أشار إليه (أمجد)، قائلاً بلهجة آمرة :

ـ هيا .. اجلسا على مقعديكما أنت ومساعدك، وأحكما رباط حزامى الأمن، قبل أن نصل .

أطاعه الرجلان على الفور، فى حين انبعث صوت قائد الطائرة، وهو يقول فى توتر ملحوظ :

ـ عشرون ثانية، ونبلغ منطقة العدم .

التقط (أمجد) نفسًا عميقًا، ثم فتح باب الطائرة، فاندفع الهواء فى وجهه بعنف، وهتف به مسئول القفز على نحو غريزى :

ـ احترس يا سيد (أمجد) .

أمسك (أمجد) حاجزًا معدنيًا جانبيًا داخل الطائرة، وهو يقول فى حزم :

- اطمئن .

كان الهواء يندفع داخل الطائرة فى عنف، وكل من بداخلها يضع على وجهه قناعًا خاصًا للتزوُّد بالأكسجين، الذى ينخفض بشدة، على هذه الارتفاعات الشاهقة، والموقف كله متوتر للغاية، وعلى الرغم من هذا فقد كانت عينا (أمجد) تتألَّقان؛ وشفتاه تحملان ابتسامة عجيبة ..

فذلك الموقف، وتلك الظروف، كانت تعيد إليه ذكرى قديمة ..

بل ذكريات ..

ذكريات القتال، والحرب، وعمليات المخابرات، و...

فجأة، اختلّ توازن الطائرة، وتوقَّفت محركاتها، وهتف الطيار من كابينة القيادة، بعد أن توقَّفت كل الأجهزة عن العمل :

- نحن فوق منطقة الهدف ..

كانت الطائرة تهوى، فتشبَّث مسئول القفز ومساعده بمقعديهما على نحو غريزى، فى حين هتف (أمجد) :

- على بركة الله .

ثم وثب من الباب المفتوح ..

ودون ذرة واحدة من التردُّد ..

ومع قفزته، جذب الطيَّار تلك الذراع الإضافية فى كابينة القيادة، فاشتعل المحرِّك اليدوى الإضافى، ودفع الطائرة إلى الأمام، وهى ترتجّ فى قوة، إلى خارج منطقة العدم ..

وما إن تجاوزت حدودها، حتى عادت محركاتها تعمل، ففصل قائدها ذلك المحرِّك اليدوى، وعاد يسيطر عليها، وهو يتنفَّس الصعداء، قائلاً :

- حمدًا لله .

وفى نفس اللحظة، التى استعادت فيها الطائرة

توازنها ، وبدأت ترتفع لاستعادة مجال طيرانها المنشود ، هتف مساعد مسئول القفز فى عصبية :

- هل جازفنا بكل هذا ، من أجل عملية حمقاء ، يقوم بها كهل واحد ؟!

استدار إليه مسئول القفز فى غضب ، قائلاً :

- كهل واحد ؟! من الواضح أنك من الغفلة والحماقة ، حتى إنك تجهل تمامًا من هذا الكهل ، الذى تتحدَّث عنه بهذا الاستخفاف ..

وارتفع صوته ، وتضاعف غضبه ، وهو يتابع :

- هذا البطل ، الذى قفز أمام عينيك ، دون ذرة واحدة من التردُّد ، فى قلب منطقة أجنبية مجهولة ، تخشى الطائرات نفسها مجرَّد الاقتراب منها ، هو أفضل رجل أمن عرفته (مصر) ، خلال نصف قرن من الزمان ، والرجل الوحيد الذى ارتجفت لذكر اسمه يومًا أجهزة مخابرات أقوى دول العالم ، وأخطر منظمات الجاسوسية ، والمنظمات الإجرامية العالمية .

اتسعت عينا المساعد ، وهو يقول فى انبهار :

- إلى هذا الحد .

حلَّ مسئول القفز حزام مقعده ، وتشبث بحاجز معدنى ، ليجذب باب الطائرة ويغلقه ، قبل أن يجيب :

- وأكثر من هذا .

توقَّف اندفاع الهواء العنيف ، مع إغلاق الباب ، وعاد الضغط يتواءم داخل الطائرة ، فانتزع مسئول القفز قناع الأكسجين عن وجهه ، وهو يكمل فى حزم :

- ومادام قد اقتحم هذه المعركة ، فثق بأنه سيحدث فارقًا ..

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف فى صرامة واقتضاب :

- حتمًا .

أما (أمجد) نفسه ، فقد وثب من الطائرة ، من هذا الارتفاع الشاهق ، وهو يضع على وجهه قناع الأكسجين ، وترك جسده ينزلق فى الهواء مستخدمًا كل خبراته ومهاراته القديمة ، وهو يدرس الأحراش ببصره ، على ضوء الشمس ، التى شارفت المغيب ..

كانت تبدو مخيفة بحق ، من هذا الارتفاع ..

ولثوان بدت له أشبه بفكى مصاص دماء شرس ، يستعدّ بأنيابه الحادة لاقتناصه ، فور سقوطه بينها ..

ولكن هذا لم يرهبه ..

ولم يفتّ فى عضده ..

كانت السنوات الطوال ، التى قاتل فيها كضابط صاعقة ، ثم كضابط عمليات خاصة ، فى صفوف المخابرات العامة ، قد نحتت قلبه من صخر صلب صلد(*) ، حتى إن الموت أو الخطر لم يعد لهما أدنى تأثير فى مشاعره أو قراراته ..

وعند الارتفاع المناسب ، جذب حبل المظلة ، التى استجابت على الفور ، وانفتحت ، وبدأت عملية الهبوط الهادئة ..

ومرة أخرى ، بدت له تلك الأحراش ، مع أضواء الغروب ، رهيبة مخيفة ..

(*) الصلابة : هى قدرة المادة على كسر غيرها من المواد ، أما الصلادة : فهى قدرة المادة على خدش غيرها من المواد الأخرى .

لقد كانت قمم أشجارها تتمايل على نحو عجيب ، وكأنها تواجه رياحًا عاصفة ، فى حين لم يكن يشعر من حوله بأية رياح زائدة ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

تلك الأحراش ليست طبيعية بالتأكيد ..

إنها تنتظره ..

شىء ما فى أعماقه يكاد يكون واثقًا من هذا ..

شىء ما ، وغريزة قوية ، جعلاه يدرك أنه سيواجه الخطر ، منذ اللحظة الأولى لهبوطه ، فى قلب تلك الأحراش ..

ولكن فجأة ، ودون مقدمات ، أدرك (أمجد صبحى) أن الخطر لن ينتظر هبوطه فى قلب الأحراش الرهيبة ..

هذا لأن النيران قد اشتعلت بغتة فى مظلته ..

والتهمتها فى لحظة واحدة ..

وهكذا ، وجد (أمجد) نفسه يهوى نحو الأحراش القاتلة ..



هذا لأن النيران قد اشتعلت بغتة فى مظلته ..

ومن ارتفاع نصف كيلومتر على الأقل ..

وأمام عينيـه ، تباعدت قمم الأشـجار ، وبدت أشـبه بفكين مخيفين ، يستعدان لالتهامه فور سقوطه ..

وبلا رحمة ..

★ ★ ★

ما رآه (نور) و(أكرم) ، فى قلب تلك الصحـراء الغامضة ، كان مدهشًا بحق ..

وكمـا يحدث ، منذ بدأت تلك المهمة ، كان يخالف كل قواعد العقل والمنطق ..

فهناك ، على بعد كيلومتر واحد تقريبًا ، وعلى ربوة رملية مرتفعة ، كان يقف ذلك المعبد المزدوج شـاهقًا ، تحت ضوء الشمس ..

نعم .. كانا يقفان وسط ظلام دامس ، ولكن أسطوانة من الضوء كانت تحيط بالمعبد ، وتمتدّ إلى أعلـى ، على نحو يستحيل معه تحديد مصدرها ..

وفى ذهول ، تمتم (أكرم) :

ـ كيف يمكن هذا ؟! كيف لا ينتشر الضوء ليبدِّد هذا الظلام الدامس ؟! كيف ؟!

غمغم (نور) ، وهو يتطلَّع إلى ذلك المشهد الرهيب فى توتر شديد :

ـ كل شىء هنا لايتبع قواعد الفيزياء التى نعرفها يا صديقى .

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى عصبية ذاهلة :

ـ مستحيل ! مستحيل أن يخضع له الضوء ، أو أن تخضع له قواعد الفيزياء ! مستحيل !

أجابه (نور) فى حزم :

ـ قواعد الدنيا لاتخضع إلا لله (سبحانه وتعالى) وحده يا صديقى ، ولكن العلم يكشف كل يوم قواعد جديدة ، قد تكسر ما كنا نتصوَّره قاعدة فيزيائية ثابتة .. الضوء الذى يهبط أمامك ، على شكل أسطوانة

محدودة ، لاتنتشر فيما حولها ، ربما كانت له قواعد فيزيائية أيضًا ، تمامًا مثل أشعة الليزر ، التى تتكثَّف فيها طاقة الضوء ، فى شعاع واحد ، والتى كسرت عند كشفها قاعدة فيزيائية قديمة ، كانت تتصوَّر أن الضوء يتشتَّت حتمًا ..

عاد (أكرم) يهزّ رأسه ، قائلا فى عصبية أكثر :

ـ أنت تعلم أننى لا أجيد هذه الأمور المعقَّدة .

ربَّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

ـ لا عليك يا صديقى .. لا عليك .. سنطرح التفاسير العلمية جانبًا مؤقتًا ، ونركز جهودنا كلها على بلوغ ذلك المعبد ..

تطلَّع إليه (أكرم) فى دهشة ، قبل أن يسأله فى توتر :

ـ وما الذى يمنعنا من بلوغه ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، وهو يتطلَّع إلى ذلك المعبد ، قائلاً :

- لست أدرى يا (أكرم) .. لست أدرى يا صديقى ، ولكننى واثق من أن بلوغه لن يكون بالأمر السهل .. أبدًا .

لم يستوعب (أكرم) هذا المنطق ، فمطَّ شفتيه ، وأشار بيده إلى ذلك المعبد ، القابع وسط أسطوانة الضوء المبهر ، قائلاً :

- (نور) .. ذلك الشىء على بعد كيلومتر واحد منا على الأكثر ، ومهما كانت صعوبة السير على هذه الرمال ، فسنبلغه خلال ثلث الساعة على الأكثر(*) .

مطَّ (نور) شفتيه ، وتمتم :

- أتعشَّم هذا يا صديقى .. أتعشَّم هذا .

وعاد يربِّت على كتفه ، مستطردًا :

- هيا بنا .

(*) سرعة الإنسان العادى ، على الأرض المعهدة المنبسطة ، ستة كيلومترات فى الساعة .

بدأ سيرهما فوق الرمال ، فى اتجاه ذلك المعبد المزدوج الرهيب ، و(نور) يشعر فى أعماقه بأن تلك الرحلة المباشرة لن تكون سهلة أو آمنة ..

لن تكون كذلك أبدًا ..

أما (أكرم) ، فقد كان يشعر بتوتر عنيف فى أعماقه ، ويتساءل فى كل لحظة عما يقلق (نور) ..

وعما يمكن أن يحدث ..

ففى رأيه ، لم يكن الأمر يتجاوز ثلث الساعة ، من السير على الرمال ..

ولكن ثلث الساعة مضى ..

وبعده ثلث ثان ..

وثالث ..

السير على الرمال أجهدهما ..

ولكن المعبد ظلَّ على نفس المسافة منهما ..

وكأنهما لم يقطعا مترًا واحدًا ..

وفى عصبية غاضبة ، هتف (أكرم) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، وقال فى توتر :

ـ خداع بصرى آخر يا صديقى .

هتف (أكرم) :

ـ أى خداع بصرى هذا ؟! إننا نسير منذ ساعة كاملة ، ولكننا لا نصل إلى أى شىء .. لقد صعدنا وهبطنا ألف مرتفع رملى ، ولكننا لم نقترب من ذلك المعبد الحقير شبرًا واحدًا .

تطلَّع (نور) طويلاً إلى ذلك المعبد ، وأسطوانة الضوء التى تحيط به ، قبل أن يقول :

ـ ربما لأنه ليس هناك .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ أعنى أننا نسير منذ ساعة خلف وهم .. سراب .. خداع بصرى .

ثم تلفَّت حوله ، مستطردًا :

ـ أنا واثق من أن ذلك المعبد هنا ، فى مكان آخر حولنا .. يختفى وسط الأحراش ، أو فى قلب الظلام .

تلفَّت (أكرم) حوله بدوره ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أين يا (نور) ؟! أين ؟! لست أراه فى أى مكان ، إلا إذا كان هنا ..

وضرب الرمال بقدمه ، مستطردًا :

ـ تحت هذه الرمال .

قبل حتى أن يكتمل قوله ، ومع ضربة قدمه ، انهارت الرمال من تحته بغتة ..

وبشهقة دهشة مذعورة ، هوى جسده وسطها ..

لقد انهارت ، كاشفة فجوة سوداء عميقة ..

عميقة ..

بلا قرار ..

فجوة تهاوى جسده داخلها ، و ...

وفجأة ، قفزت يد (نور) تقبض على معصمه ..

وبحركة غريزية ، التفّت أصابع (أكرم) حول معصم (نور) أيضًا ..

وسقط (نور) على وجهه ، وبدت له تلك الفجوة المظلمة الرهيبة ، التى تغوص وتغوص إلى مدى البصر ، وانزلق جسده فى بطء على الرمال ، وهو يبحث عبثًا عما يتشبَّث به بيسراه ، ويمناه تقبض على معصم (أكرم) بقوة ، وهذا الأخير يهتف :

ـ لا .. لا فائدة !

هتف به (نور) وهو يتشبث بآخر أمل ، على الرغم من انزلاق جسده أكثر وأكثر :

ـ لاتقل هذا ..

أفلت (أكرم) أصابعه ، من حول معصم (نور) ، وهو يهتف :

ـ اتركنى يا (نور) .. اتركنى قبل أن ينزلق جسدك ، ونسقط معًا .

هتف (نور) فى حزم :

ـ لا .. لن أتخلَّى عنك أبدًا .

صاح (أكرم) ، وهو يقاوم أصابع (نور) ، الممسكة بمعصمه :

ـ افعلها ياصديقى .. افعلها .. اتخذ قرار قائد .. لاتقتلنا معًا ، بسبب عاطفة سخيفة .. إننا الأمل الأخير للباقين يا (نور) .. لاتنس هذا .

كان جسد (نور) ينزلق أكثر وأكثر على الرمال ، ولكنه صرخ بكل الحزم والعزم والإصرار :

ـ محال .

انتزع (أكرم) مسدسه من حزامه بيسراه ، ورفع فوهته نحو (نور) صائحًا بكل انفعاله :

- اتركنى وإلا ..

قبل أن يكتمل وعيده ، انهارت حافة الرمال فجأة تحت (نور) فاختلّ توازن جسده ، و ...

وهوى ..

هوى مع (أكرم) فى تلك الفجوة العميقة ..

العميقة ..

بلا قرار ..

* * *

« (مشيرة) .. لاتستيقظى .. أرجوك .. »

هتفت (سلوى) بالجملة ، فى صوت أقرب إلى البكاء ، ودموعها تغرق وجهها ، فى حين راحت (مشيرة) تتململ فى رقدتها ، على نحو يوحى بأنها على وشك استعادة وعيها ، فهتف الدكتور (حجازى) فى ارتياع :

- لايمكن أن نتركها هكذا .. لو استعادت وعيها ، وجسدها خارج الدائرة الفضية ، ستحترق كشعلة لهب ، كما حدث لهذا المقاتل المسكين .

قال الدكتور (رمسيس) فى توتر بالغ :

- وماذا يمكننا أن نفعل ؟!

صاح الدكتور (عبادة) فى انهيار :

- ليس هناك مانفعله .. ليس لدينا مايمكن أن نفعله .. لقد انتهى أمرنا جميعًا .. انتهى تمامًا .

صرخت فيه (نشوى) :

- اصمت أرجوك .. اصمت .. لم أعد أحتمل كلماتك .. اصمت .

ارتفع صوت (رمزى) فوق صرختها ، وهو يصرخ بدوره :

- اصمتوا جميعًا .

صرخته الهادرة جعلتهم يغلقون أفواههم ، ويلتفتون إليه بحركة واحدة ، فانعقد حاجباه ، وهو يتطلَّع إلى (مشيرة) ، قائلاً :

- الإيحاء .

سألته (سلوى) فى خفوت حذر :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها فى سرعة وحزم :

- (مشيرة) الآن فى تلك المنطقة ، بين الغيبوبة والوعى ، وفى تلك المنطقة يصبح عقلها مستيقظاً بدرجة تكفى لإدراك المؤثرات الخارجية ، ولكن ليس إلى درجة تفنيدها ، واتخاذ القرار المناسب بشأنها ، وهذا يعنى أنها ستطيع كل ما تسمعه فى آلية ، لو تم توجيهه إليها بالأسلوب المناسب .

غمغم الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- لم أفهم بعد .

قال (رمزى) فى صرامة :

- اصمتوا جميعًا إذن ، واحبسوا أنفاسكم لو اقتضى الأمر .

أطاعه الكل دون مناقشة ، فانعقد حاجباه بشدة ، وهو يتطلَّع إلى (مشيرة) مباشرة ، وبدا صوته عميقًا ، وكأنما يأتى من أغوار سحيقة ، وهو يقول :

- عودى إلى الدائرة الفضية يا (مشيرة) .. عودى واجلسى داخلها تمامًا .

تململت (مشيرة) فى رقدتها ، وكأنما سمعت ما قاله ، فكرَّر بعمق أكثر :

- عودى يا (مشيرة) .

تململت (مشيرة) أكثر ، وضمت ركبتيها إلى صدرها ، فى وضع جنينى ، وهى تتأوَّه فى خفوت ، فكرَّر (رمزى) :

- عودى إلى الدائرة يا (مشيرة) .

لثوان ، خُيِّل إليهم أنها لم تسمع حرفًا واحدًا مما قاله (رمزى) ..

ثم فجأة ، زحفت بجسدها ، وضمت ساقيها ، لتصبح كلها داخل الدائرة الفضية ..

وفى حركة آلية عجيبة ، اعتدلت جالسة ، وغمغمت :

- ماذا حدث ؟!

كادت (سلوى) تهتف بعبارة ما ، ولكن (رمزى) استوقفها بإشارة صارمة من يده ، قبل أن يقول ، بنفس الصوت العميق :

- لقد انتهى الأمر .. افتحى عينيك .. لقد انتهى الخطر .

فتحت (مشيرة) عينيها فى بطء ، وحدّقت فيما حولها ، ثم أطلقت شهقة مكتومة ، وهى تهتف :

- رباه ! هل ..

قاطعها (رمزى) فى سرعة :

- كل شىء على ما يرام يا (مشيرة) .. لقد زال الخطر .

حدّقت فيه بدهشة ، ثم عادت تحدّق فى الآخرين ، قبل أن تهتف :

- أى خطر .. كل شىء ما زال على ما هو عليه .

غمغم الدكتور (حجازى) :

- هذا أفضل ما يمكن أن نأمله .

لم تكد عبارته تكتمل ، حتى تلاشى ضوء الشمس ، الذى يتسلّل عبر فتحات السقف ، وانسحب فى سرعة ، ليحل محلّه ذلك الظلام المخيف ، فصرخ الدكتور (عبادة) :

- ماذا سيحدث ؟! ماذا سيحدث ؟!

مع آخر حروف صرخته دوت فرقعة مكتومة فى المكان ، وانبعثت أبخرة كثيفة من ذلك الوعاء النحاسى الكبير ..

ثم فجأة ، ظهر ذلك الكاهن الرهيب ..

ظهر خلف الوعـاء النحـاسى ، مع تلاشى الأبخرة ، وهـو يتطلّع إلـى الجميع بنظـرة نـارية شـيطانية ، وحشية ..

نظرة ارتجفت لها قلوبهم ، وتجمّدت لهـا الدماء فى عروقهم ، واختنقت معها الكلمات ، وحتى الصرخـات ، فى حلوقهم ..

ولدقيقـة كاملة ، ظلّ الكل صامتًا مبهوتًا ، وكلهم يتطلّعـون إلى الكـاهن ، الـذى ظلّ سـاكنًا كتمثال من الرخام ، وعينـاه تتألقان بذلك البريق المخيف ، قبل أن يستدير فجأة بحركة حادة ، إلـى الصندوق الزجاجى ، الذى يحوى إصبـع الشيطان ، ثم رفـع ذراعيـه إلى أعلى بحركة مباغتة ..

ومـع حركتـه ، شـعر الكل فجـأة بـآلام رهيبـة فـى رءوسهم ..

آلام جعلتهم يطلقون صرخات قوية ، وهم يمسكون رءوسهم فى عنف ، و ...

وفجأة ، خفض الكاهن ذراعيه ..

وتلاشت الآلام كلها دفعة واحدة ..

ثم استدار الكاهن إليهم ، بنفس النظـرة الرهيبة ..

المخيفة ..

الوحشية ..

وعاد إليهم ذلك الصمت الرهيب المهيب ..

وشعر (رمزى) بخيط من الدم ، يسيل من أنفه ، وشاهد رفاقه كلهم يعانون الشىء نفسه ..

وقبل حتى أن يمسح خيط الدم ، انحنى الكاهن يلتقط تلك الجمجمة غير البشرية ..

واتسعت عينا الدكتور (عبادة) فى ارتيـاع ، وهو يستعيد ذكرى خبرته السابقة مع تلك الجمجمة ..

وانعقد حاجبا الدكتور (حجازى) فى شدة ، للسبب نفسه ..

وبغتة ، انطلق من تلك الجمجمة شعاع قوى ، سطع فى وجوه الكل ، كألف ألف مصباح من مصابيح التصوير ..

ومع الضوء القوى ، أغلق الكل عيونهم بشدة .. وعندما عادوا يفتحونها ، اتسعت عن آخرها فى ذهول ..

فقد تلاشى المعبد كله من حولهم ..

تلاشى بجدرانه ، ونقوشه ، ومذبحه ..

وأحاط بهم ظلام مخيف ..

ظلام بدا وكأنه العدم نفسه ..

إلا من بقعة واحدة ..

بقعة جعلت قلب (نشوى) يرتجف بين ضلوعها فى

عنف ، وجعل (سلوى) تطلق صرخة رعب قوية ، فى حين اتسعت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وهى تصرخ:

ـ لا .. ليس (أكرم) .. ليس (أكرم) ..

ففى تلك البقعة المضيئة ، كان (نور) و(أكرم) يواجهان أمرًا رهيبًا ..

رهيبًا إلى أقصى حد .

* * *



٤ـ خيوط العنكبوت ..

فجأة ، وجد (أمجد صبحى) نفسه يهوى من حالق ، نحو تلك الأحراش الرهيبة ، بعد أن احترقت مظلته دفعة واحدة دون مقدمات ..

كان موقفًا رهيبًا بحق ، وخاصة مع غروب الشمس ، الذى يلقى ظلالاً مخيفة على كل شىء ، والذى يجعل تلك الأحراش تبدو وكأنها وحش مفترس ، يفتح فكيه عن آخرهما لالتهامه بلا رحمة ..

ولقد راح جسده يهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

ولكن ذرة واحدة فى جسد (أمجد) لم تشعر بالخوف أو الفزع ..

فبحركة سريعة ، جذب حبلاً رفيعًا فى حزام حقيبة المظلة ، فانفصلت البقية الباقية من أحبال مظلته المحترقة ، وطارت بعيدًا ، فى حين جذب هو حبل المظلة الإضافية الأخرى(*) ..

وعلى الرغم من أن المظلة الاحتياطية قد استجابت بنجاح ، إلا أن المسافة التى تفصل جسده عن الأرض ، كانت أقل من أن تسمح لها بالعمل بكفاءة ، لذا فقد انخفضت سرعة هبوطه كثيرًا ..

ولكن ليس بالدرجة الكافية ..

وبشىء من العنف ، ارتطم جسده بقمم الأشجار ، فطوى ركبتيه إلى صدره ، ورفع ذراعيه ليحمى وجهه ، وجسده يهوى مرتطمًا بالأغصان القوية ، والأفرع السميكة ، التى تحطمت مع ثقله ، وإن ساعدت فى الوقت ذاته على تخفيف سرعة وعنف هبوطه ..

حتى ارتطم أخيرًا بالأرض ..

(*) منذ أوائل الثمانينات ، وبعد تزايد حوادث الخلل فى فتح مظلات الهبوط ، تقرر تعميم وضع مظلتين فى حقيبة القفز ، بدلاً من واحدة ، بحيث يتم حل المظلة التى تعرضت للخلل ، واستخدام الاحتياطية عند الخطر .

ولثوان ، ترك جسده ساكنًا ، على الأرضية الرطبة ، التى تكسوها طبقة كثيفة من الأوراق الجافة ، وكل ذرة فى كيانه تصرخ بالألم ، قبل أن يغمغم :

- ياله من هبوط :

وكما لو أن عبارته قد انتزعت كل آلامه ، هبَّ واقفًا على قدميه فى نشاط عجيب ، ثم تلفّت حوله ، وهو يحلّ حقيبة المظلة ، التى تمزّقت بعنف مع الهبوط ، وألقاها أرضًا متمتمًا :

- عجبًا ! أى ظلام دامس هذا ؟! هل يمكن أن تحجب تلك الأشجار الضوء إلى هذا الحد ؟!

رفع رأسه إلى أعلى ، وبدا له ذلك الظلام الرهيب ، الذى يبدو من بين قمم الأشجار غير طبيعى على الإطلاق ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وهو يشعل مصباحه اليدوى ، مغمغمًا :

- آه .. يبدو أن المواجهات الشيطانية قد بدأت بالفعل يا (أمجد) .. فليكن .. إننى هنا بالفعل ، ولاينبغى أن أضيع لحظة واحدة .

أدار ضوء مصباحه اليدوى فيما حوله فى بطء ، ليستكشف مايحيط به ، قبل أن يبدأ خطوته الأولى ..

كانت الأشجار الضخمة تحيط به من كل صوب ، ولاتترك سوى ممرٍ واحد فحسب للخروج ..

ولثوان ، فحص ذلك الممر ، على ضوء مصباحه اليدوى ، قبل أن يتمتم :

- اتجاه إجبارى .. يبدو أن الأمور تسير هنا على نحو لا يرهق المرء طويلاً فى الاختيار ..

« (أمجد) .. »

انبعث اسمه بغتة ، من بين الأشجار المحيطة به ، فاستدار إلى مصدره بحركة حادة ، هاتفًا :

- من هنا ؟!

ضوء مصباحه لم يكشف أمامه سوى جذوع الأشجار الضخمة وأغصانها الكثيفة ، ذات الأوراق العريضة ..

« (أمجد) .. »

مرة أخرى ، سمع اسمه يتردَّد ، بذلك الصوت الخافت الهادئ فاستدار ثانية إلى مصدره ..

ولم تكن هناك سوى الأشجار ، والأغصان ، والأوراق ..

وفى صرامة ، لا تنقصها العصبية ، هتف (أمجد) :

- أى عبث شيطانى هذا ؟!

« إنه أنا ؟! »

جاء الصوت من خلفه هذه المرة ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدور على عقبيه ، ويلقى ضوء مصباحه على الأشجار ، هاتفًا بتوتر بالغ :

- مستحيل !

لقد ميَّز الصوت جيِّدًا هذه المرة ..

ولكن هذا مستحيل !

مستحيل أن يكون صوته !!

صوت (حامد) .. زميله السابق ، الذى قضى نحبه يومًا ، فى أثناء صراعهما العنيف مع منظمة (المافيا) ..

مستحيل !

« هنا لا يوجد مستحيل يا صديقى !! »

انتفض جسد (أمجد) فى عنف ، مع العبارة الواضحة المميَّزة هذه المرة ، والتى انبعثت من بين الأشجار المواجهة له تمامًا ، والتى يسقط عليها ضوء مصباحه اليدوى مباشرة ..

إنه صوته ..

لا يمكن أن يخطئه ..

صوت (حامد) ..

ولكن هذا مستحيل !

مستحيل !

مستحيل !

« هل نسيت ؟! إنك تقف على أرض الأرواح الخالدة »

انعقد حاجباه فى شدة ، والصوت يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم انتفض جسده مرة أخرى ، عندما سقط ضوء مصباحه على ذلك الجسد ، الذى شق طريقه بين الأغصان والأوراق المتشابكة ، وتجاوزها فى هدوء عجيب ..

الجسد الذى ما زالت جبهته تحمل ثقبًا دمويًّا ، فى منتصفها تمامًا ..

جسد (حامد) ..

زميل مهنته وصديقه ..

السابق ..

* * *

هوى جسدا (نور) و(أكرم) داخل تلك الفجوة الرهيبة ..

وهوى ..

وهوى ..

ثم فجأة ، ارتطم بذلك الشىء المرن اللزج ..

شىء التصق به جسداهما فى قوة ، وراحا يهتزان فى تناغم مخيف ، جعل (أكرم) يهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

بذل (نور) جهدًا مستميتًا ، فى محاولة يائسة لتخليص ذراعه ، من ذلك الشىء ، وهو يقول :

ـ لست أدرى بالضبط .. إنها خيوط مرنة لزجة ، تحوى مادة لاصقة قوية .

ثم انعقد حاجباه فى توتر بالغ ، وهو يضيف :

ـ أخشى أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، راحت تلك الخيوط تهتز على نحو منتظم ، فازداد انعقاد حاجبيه فى توتر بلغ منتهاه، ورسم عقله صورة مخيفة لكائن رهيب ، يتجه نحوهما مباشرة ، فى حين هتف (أكرم) فى عصبية :

- شىء ما يسير على تلك الخيوط يا (نور) .. شىء يتجه نحونا ..

وسرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يكمل :

- هذا يذكرنى بفيلم قديم من أفلام الرعب ، و ...

وفجأة ، وقبل أن تكتمل عبارته ، أضىء كل ما يحيط بهما بغتة ، بضوء خافت متراقص ، أشبه بضوء النيران ..

وعلى ذلك الضوء الخافت ، رأيا الكثير ..

الكثير جدًا ..

فمن حولهما ، وفوق ما بدا وكأنه العدم كان رفاقهما يحيطون بهما ، وكل منهم يقف فوق دائرة فضية متألقة ..

وعلى مسافة أمتار قليلة منهم ، كان يقف ذلك الكاهن ، وهو يمسك بالجمجمة غير البشرية ، التى تتألق عيناها على نحو عجيب ..

وخلفه مباشرة ، كان يستقر إصبع الشيطان ، داخل صندوقه الزجاجى البدائى .. وكان أيضًا يتألق ..

وربما أكثر من أى شىء آخر ..

ولكن ما رأياه ، وجعل كل ذرة من كيانيهما ترتجف بعنف ، لم يكن كل هذا ..

لقد كان ذلك الشىء الذى يسير على تلك الخيوط اللزجة ، التى يلتصقان بها ، والذى يتجه نحوهما مباشرة ..

العنكبوت ..

فتلك الخيوط اللزجة كانت خيوط عنكبوت هائل الحجم ، أشبه بسيارة كبيرة ، وهو يتجه نحوهما بأقدامه الثمان ، وعيونه الست ، وشراهته التى تدفعه لالتهام فرائسه التهامًا ..



مشهد العنكبوت الضخم ، وهو يتجه فى شراهة نحو (نور) ، و(أكرم) ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

- لا يا (نور) .. لا ..

وهتفت (مشيرة) فى رعب :

- لماذا ؟! لماذا (أكرم) .. لماذا ؟!

أما (نشوى) ، فقد صاحت فى الكاهن :

- لماذا تعذبنا ؟! لماذا ترينا هذا ؟!

وفى ارتياع ، تطلَّع الباقون إلى ذلك المشهد الرهيب ..

مشهد العنكبوت الضخم ، وهو يتجه فى شراهة نحو (نور) و(أكرم) ، والأخير يقول فى عصبية :

- أهذا خداع بصرى أيضًا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى توتر شديد :

- بل حقيقة يا صديقى .. حقيقة للأسف .

هتف فى حنق ، والعنكبوت الضخم يتجه نحوه مباشرة :

- ولماذا هذا بالذات حقيقة .

اتسعت عيون الكل فى رعب ، وشهقت (مشيرة) شهقة كادت تذهب روحها ، وهى تحدق معهم فى ذلك العنكبوت المخيف ، وهو يتوقف عند (أكرم) ، ويتطلع إليه لحظة بعيونه الست ، قبل أن يرفع إبرته السامة الضخمة ، ليهوى بها على جسده ..

وانهارت (مشيرة) ..

تمامًا ..

* * *

سرى توتر عنيف فى جسد (أمجد) ، وهو يحدق فى الجسد الواقف أمامه ، وقد التقى حاجباه فى شدة ..

إنه (حامد) ..

تمامًا كما رآه أول مرة ، عندما لقى مصرعه ..

إنه لم ينس ذلك الثقب الدامى ، فى منتصف جبهته ..

لم ينسه أبدًا ..

الثقب الذى من أجله ، شن حربًا شعواء على منظمة (المافيا) كلها ..

حربًا بلا رحمة أو هوادة ..

« هل نسيتنى يا (أمجد) ؟! »

نطق (حامد) العبارة بصوته ، الذى لم ينس (أمجد) نبراته قط ، على الرغم من مرور كل هذه السنوات الطوال ..

والتقى حاجبا (أمجد) أكثر ..

إنه رجل مخابرات سابق ، اعتاد التعامل مع الحقائق ..

الحقائق وحدها ..

وما يراه أمامه لا يمكن أن يكون حقيقة ..

لقد مات (حامد) منذ ما يزيد على ربع قرن ..

والموتى لا يعودون إلى الحياة ، إلا فى يوم البعث ، الذى لا يعلمه إلا الله (سبحانه وتعالى) وحده ..

ما من قوة أخرى ، فى الكون كله ، يمكن أن تعيد الموتى ..

مهما كانت ..

« هذه الأرض تختلف عن أية أرض أخرى .. »

ابتسم (حامد) ، وهو ينطق العبارة ، وكأنما قرأ أفكار (أمجد) ، الذى قال فى خشونة عصبية :

- كل الأرض لله (عزّ وجلّ) .

تابع (حامد) ، وكأنه لم يسمعه :

- هنا تحيا الأرواح إلى الأبد .

أجابه فى صرامة :

- هراء .

ابتسم (حامد) مرة أخرى ، وهو يقول :

- ألا تصدقنى يا (أمجد) ؟!

هزّ (أمجد) رأسه فى حزم ، قائلاً :

- لا يمكننى هذا .

صمت (حامد) بضع لحظات ، قبل أن يقول بصوت هادئ :

- اقترب يا (أمجد) .

تطلّع إليه (أمجد) فى حذر زائد ، فمدّ إليه يديه ، مكرّرًا :

- اقترب يا (أمجد) .. اقترب .

تحركت عينا (أمجد) فى سرعة ، وهما ترصدان كل ما حول (حامد) ، الذى كرّر بصوت عميق :

- اقترب .. اقترب ..

لانت ملامح (أمجد) فجأة ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. لقد اشتقت إليك كثيرًا يا صديقى .

قالها ، واتجه نحوه مباشرة ، حتى صار على قيد مترين فحسب منه ، و ...

وفجأة كشّر ذلك الشىء عن أنياب حادة مخيفة ، وانطلقت من حلقه صرخة وحشية عجيبة ، تشبه حفيف ألف ورقة شجر ضخمة ..

ثم كانت تلك الانقضاضة ..

الانقضاضة الناجحة ، التى قضت على الخصم تمامًا ..

وبضربة واحدة ..

* * *

فجأة ، تذكَّر (نور) أمرًا مهمًا ..

وفى هذه اللحظة الحرجة بالذات ، نستطيع أن نقول: إنه ليس مهمًا فحسب ، بل هو أمر يفصل بين الموت والحياة ..

وبكل انفعاله ، صاح :

ـ مسدسك يا (أكرم) ..

فى تلك اللحظة فحسب ، انتبه (أكرم) أيضًا إلى الأمر ذاته ..

لقد انتزع مسدسه من حزامه ، عندما كان يحاول منع (نور) من الإمساك به ..

ثم هويا معًا ..

وطوال الوقت ، لم يفلت مسدسه قط ..

لذا فقد بقيت أصابعه ممسكة بمقبضه ..

حتى عندما ارتطما بخيوط العنكبوت ..

والتصقا بها ..

ومع صرخة (نور) ، انتبهت أصابعه إلى ما تمسك به ..

وبرد فعل مدهش ، وعلى الرغم من استحالة تحريك ذراعه ، أمال (أكرم) معصم يده الممسكة بالمسدس ، على نحو بعث فى ذراعه كلها آلامًا رهيبة ، وهو يهتف :

ـ هيا .. ابتسم أيها الوغد .

ومع هتافه ، ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الرصاصات ..

أربع رصاصات متتالية ، نسفت ثلاث منها رأس العنكبوت الضخم ، الذى ارتفعت ست من قوائمه

الثمان ، وجسمه يرتجف فى عنف ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، فوق خيوطه اللزجة ..

وبكل سعادة الدنيا ، صرخت (مشيرة) :

ـ لقد فعلتها .. فعلتها مرة أخرى يا (أكرم) ..

مع صرختها ، حدث أمر عجيب ..

عجيب للغاية ..

لقد ذاب جسد ذلك العنكبوت الضخم ، وتحوّل إلى مادة هلامية حمراء ، لم تكد تسيل فوق خيوطه ، حتى ذابت بدورها ، وتحوّلت إلى المادة نفسها ، ليتحررَّ (نور) و(أكرم) دفعة واحدة ..

وفى توتر بالغ ، غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ البلازما .

اتسعت عينا الدكتور (عبادة) ، وهو يهتف :

ـ بلازما ؟! مستحيل !

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، والتى اندفع فيها (أكرم) ، متصورًا أنه يستطيع تحرير زوجته ورفاقه ، رفع الكاهن الرهيب تلك الجمجمة غير البشرية مرة أخرى ، وسطع الضوء المبهر فى وجوه الجميع ..

ثم اختفى كل شىء دفعة واحدة ..

وفى لمحة بصر ، وجد (نور) و(أكرم) نفسيهما فى ظلام دامس ، فهتف الأخير فى غضب :

ـ لقد ذهبوا .. ذلك الكاهن الحقير .. القذر .. الـ ..

قاطعه (نور) ، وهو يضىء مصباحه اليدوى ، ليكشف ما حوله :

ـ لن يفيد هذا .

لوَّح (أكرم) بذراعيه ، صائحًا :

ـ لقد كانوا هنا ، منذ لحظة واحدة .

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً فى حزم صارم :

ـ إنهم لم يكونوا هنا أبدًا .

تفجّر الغضب من كل خلية فى كيان (أكرم) ، وهو يهتف فى سخط :

- العنكبوت كان هنا ، وهم ليسوا هنا .. شلال النار وهم ، والأشجار الحية ليست وهمًا .. لقد سئمت كل هذا .. لم أعد أدرى ما الوهم وما الحقيقة ! ما الذى هنا ، وماذا ليس هنا ؟! لم أعد أعرف حتى أين نحن ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، وكأنما يفكّر فى عبارة (أكرم) جيدًا ، قبل أن يقول فى بطء عجيب :

- سؤال جيّد يا صديقى .. أين نحن ؟!

سؤال (نور) أزال الكثير من غضب (أكرم) ، وحوّله فى لحظة إلى حالة من الحيرة والتوتر ، وهو يتابع ضوء مصباح (نور) ، ثم يضيف إليه ضوء مصباحه ، الذى أداره فيما حوله ، قبل أن يهتف بكل الدهشة والتوتر :

- أنحن فى عالمنا يا (نور) ؟! إننا نسبح تقريبًا فى الفراغ .. نحن وذلك السائل الأحمر الهلامى ، الذى كان عنكبوتًا مخيفًا منذ قليل .. كيف يمكن هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- هذا غير ممكن على الإطلاق .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

- فى عالمنا .

هتف (أكرم) فى عصبية :

إذن فنحن فى عالم آخر .

لم يجب (نور) سؤاله ، وهو يدير مصباحه اليدوى مرة أخرى فيما حوله ..

كان الفراغ يحيط بهما بالفعل ، فى كل اتجاه ..

حولهما ..

وأعلاهما ..

وحتى أسفلهما ..

وضوء مصباحيهما اليدويين ، كان ينطلق إلى أقصى مدى فى كل اتجاه ..

بلا استثناء ..

وفى عصبية بالغة ، كرَّر (أكرم) :

ـ أنحن فى عالم آخر يا (نورِ) ؟!

مرة أخرى ، لم يجب (نور) ..

لقد غرق عقله فى تفكير عميق ..

عميق ..

عميق ..

تفكير التهب معه مخه ، وهو يبحث عن تفسير لما يحدث ..

أى تفسير ..

تفسير منطقى ..

أو حتى شيطانى ..

ولكن كل شىء كان يسير بلا قواعد ..

مجردَّ عبث ..

عبث شيطانى بمشاعرهم ، وعقولهم ..

وحتى بأجسادهم ..

ولكن لا ...

حتى العبث له قواعده ..

ربما تختلف عن قواعد العقل والمنطق ..

ولكنها قواعد ..

كل ما عليه هو أن ينفض عن رأسه كل ما اعتاده وألفه من قواعد العلم والعقل والمنطق ..

وأن يملأه بقواعد جديدة ..

قواعد تتفق مع كل ما مرّ بهم ، منذ بدأت هذه العملية المخيفة ..

وفى خفـوت ، بلغـت عصـبيته مداهـا ، تمتـم (أكرم) :

ـ (نور) .. هل تسمعنى ؟!

اعتدل (نور) فجأة ، وهو يقول فى حزم :

ـ بالتأكيد .

سأله (أكرم) فى حيرة عصبية :

ـ بالتأكيد ماذا ؟!

التقى حاجبا (نور) ، وهو يدير رأسه فيما حوله ، هاتفًا :

ـ لا داعى لكل هذا .. نحن نعلم أننا هنا .

أدار (أكرم) ضوء مصباحه فى وجه (نور) وكأنما يتأكد من ملامحه ، قبل أن يسأله فى قلق :

ـ ماذا تقول يا (نور) ؟!

تجاهله (نور) تمامًا ، وهو يهتف :

ـ إننا نعرف أين نحن ، وكل ما تفعله لاقيمة له .

هتف به (أكرم) مذعورًا :

ـ (نور) ؟! ماذا أصابك ؟!

استدار إليـه (نـور) بحركة حـادة ، وأمسـك كتفيه فى قوة ، وهو يهتف به فى حزم :

ـ إننى أعرف أين نحن يا (أكرم) .. أعرف أين نحن .

حدّق (أكرم) فى وجهه ، بكل دهشة الدنيا ، وهو يقول فى حيرة شديدة :

ـ وأين نحن يا (نور) ؟!

تألّقت عينا (نور) ، وهو يهتف :

ـ فى المكان الذى نسعى إليه طوال الوقت يا (أكرم) .

وتألّقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يقـول فـى انفعـال جارف :

ـ فى المعبد .

لم يكد ينطقهـا ، حتى تلاشى الظلام من حولهمـا بغتة ..

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ..

فما حدث كان مذهلاً ورهيبًا ..

بلا حدود .

* * *



٥ ـ معبد الشر ..

فجأة ، جاءت تلك الانقضاضة القوية ..

ذلك المخلوق ، الذى تقمَّص هيئة (حامد) ، زميل (أمجد) القديم الراحل ، منتزعًا إياها من أعمـاق عقل (أمجد) نفسـه ، كشَّر عن أنياب حـادة رهيبة ، وجسده يستعيد منشأه النباتى ، وأطلق تلـك الصرخـة القوية المخيفة ، و ...

وقبل أن يتحرَّك ، انقـضَّ عليـه (أمجد) كالفهد انقضاضة قوية مباغتـة ، وهو يستلّ خنجره ، وسلاحه الوحيد ، من حزامه ، هاتفًا فى لهجة عجيبة ، تجمـع بين الصرامة والسخرية :

ـ كان ينبغى أن تخفى أطرافك أيها الوغد .

وفى مرونة مدهشة ، لاتتاسب سنه قط ، تفادى ضربة

قاتلة ، من مخالب ذلك المخلوق ، ثم هبط خلفه ، وهوى على ذلك الفرع الأخضر ، الذى يمتدّ من ظهره بخنجره ..

وبضربة واحدة قوية ، بتر (أمجد) ذلك الفرع الأخضر ..

وهنا ، أطلق ذلك المخلوق صرخة أخرى رهيبة ..

ثم سقط أرضًا ..

وكثعبان يحتضر ، تراجعت بقايا ذلك الفرع الأخضر ، وسط الأشجار والأغصان المتشابكة ، وهى تنزف سائلاً أخضر ، فى حين راح ذلك المخلوق يتلوّى ، وهو يتحوّل بسرعة إلى ما يشبه جذع شجرة قديمًا متهالكًا ..

وما هى إلا لحظات ، حتى همدت حركته تمامًا ، و ...

وذبل ..

تمامًا كورقة شجر ، فى موسم الخريف ..

ذبل ، واصفرّ ، وتهشّم ، وهو ينزف من ظهره نفس السائل الأخضر اللزج ..

وفى حزم ونشاط ، نهض (أمجد) ، مغمغمًا :

يا لها من بداية !

تطلّع إلى ذلك السائل الأخضر اللزج على نصل خنجره ، ثم التقط من جيبه قطعة من القماش ، مسح بها السائل ، ثم أطفأ ضوء مصباحه اليدوى ، قبل أن يتنهَّد ، قائلاً :

ـ كما توقَّعت تمامًا .. سائل فسفورى .

عاد يضىء مصباحه ، ويتلفَّت حوله ، مستطردًا :

ـ أنا أقف إذن وسط أحراش فسفورية ، تتعامل معى نباتاتها باعتبارى فريسة ، لابد أن تستخدم معها كل وسائل التموية والخداع لاقتناصها .

عاد يدير مصباحه اليدوى ، نحو الممر الوحيد بين الأشجار ، قبل أن يضيف فى حزم وهو يتجه نحوه :

ـ كما قلت من قبل .. كل شىء هنا إجبارى .

وغاص وسط ذلك الممر ، وهو يتوقَّع الضربة القادمة ..

وفى أية لحظة ..

* * *

تراجع الدكتور (جلال) فى مقعده ، أمام شاشة الرصد الكبيرة ، وسرى التوتر فى جسده كله ، وأحد العلماء يقول :

- مع هبوط السيِّد (أمجد) ، وسط تلك الأحراش ، تضاعف الانبعاث الحيوى الصادر منها ، والشبيه بعمليات الهضم .

غمغم الدكتور (جلال) فى عصبية :

- هل ستهضمه أيضًا ، كما فعلت مع الباقين ؟!

قال عالم آخر فى حزم :

- ليس هناك دليل واحد على مصرعهم .

أجابه الدكتور (جلال) ، فى عصبية أكثر :

- وليس هناك دليل واحد ، على وجودهم على قيد الحياة .

غمغم العالم الأوَّل :

- فلننظر إلى الجانب المشرق على الأقل .

تنهَّد الدكتور (جلال) ، مغمغمًا :

- إننى أحاول .

ثم هتف بغتة فى عصبية ، وهو يلوِّح بيده نحو الشاشة :

- ولكن كل شىء يدفعنى نحو الجانب المظلم .

اندفع عالم ثالث ، يقول :

- ليس إلى هذا الحد يا سيِّدى ؛ ففى كل دقيقة تمضى ، تزداد معلوماتنا عن تلك المنطقة ، والكمبيوتر يقوم بتحليل تلك المعلومات أوَّلاً فأوَّلاً ، وقبيل منتصف الليل .. أى بعد خمس ساعات على الأكثر ، ستكون لدينا معلومات مناسبة ، ربما تكفى لمعرفة هويتها ، أو حتى استنباط طبيعتها .

زفر الدكتور (جلال) ، وهو يتمتم :

خمس ساعات ؟!

وهزَّ رأسه فى يأس ، ثم تساءل فى خفوت :

- ألا توجد ولو معلومة واحدة جديدة ؟!

هتف أحدهم ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

- بالتأكيد .

وراجع بسرعة ما ظهر على الشاشة ، قبل أن يستطرد فى انفعال :

- أشجار ونباتات تلك الأحراش أمكن قياسها بمقياس الطيف (سبكتروسكوب) .

ارتفع حاجبا الدكتور (جلال) ، واتسعت عيناه ، وهو يهتف :

- مستحيل ! الخلايا الحية لايمكن تحديدها بمقياس الطيف التقليدى .

أجابه العالم فى حماسة :

- مقاييس الطيف الحديثة يمكنها هذا ، ولقد استخدمنا أحدثها لرصد تلك الأحراش ، وجاءت النتائج مدهشة .

غادر الدكتور (جلال) مقعده ، واتجه إليه ، متسائلاً فى لهفة :

- وما هى ؟!

أشار الرجل إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيبًا فى حماسة أكثر :

- وفقًا لمقياس الطيف ، تتكوَّن تلك الأحراش .. أو الأجزاء الظاهرة منها على الأقل ، من مزيج من الفسفور(*) والبلازما(**) ..

هتف الدكتور (جلال) ذاهلاً :

- مستحيل ! معامل الأرض كلها لا تحوى هذه الكمية الهائلة من (البلازما) ، كما أنه من المستحيل أن يتواجد الفسفور هكذا فى الطبيعة .

أضاف عالم آخر فى حزم :

(★) الفسفور : عنصر يقع فى الصف الخامس ، من الجدول الدورى ، يتفاعل بعنف ، عند ملامسته للماء أو الأكسجين ، وعند تعريضه للهواء فإنه ينفجر مشتعلاً على الفور ، لذا يجب الاحتفاظ به دومًا مغمورًا فى الماء أو الزيت ، وهو عنصر نشط ، يتحد بسرعة مع العناصر الأخرى ، ولا يوجد أبدًا بحالة نقية فى الطبيعة .

(★★) البلازما : قديمًا كان المصطلح يعنى بلازما الدم ، التى تتكوَّن فى ٩٠٪ منها من الماء ، وأخيرًا استخدم المصطلح (بلازما) ، على نطاق واسع ، لتعنى منطقة من شحنة غازية ، تحتوى على أعداد متساوية تقريبًا ، من الأيونات الموجبة والإليكترونيات ، ولقد أمكن تخليقها ، بمفهومها الجديد ، على نحو صناعى فى المعامل .

- وأى نبات فى الوجود لايمكنه أن يحيا ، فى تركيبة عجيبة كهذه .

قال العالم الأوَّل فى سرعة :

- تتحدَّث عن النباتات الطبيعية المعروفة علميًا ، لا عن تلك الأحراش ، التى اعتادت هضم البشر .

هتف الدكتور (جلال) :

- مهلاً .. ماتقولونه ربما يعطى مفهومًا جديدًا ، لهذا الانبعاث الحرارى الحيوى .. ألا يحتمل أنه ينشأ من احتراق منتظم للفسفور ، فى قلب تلك الأحراش ؟!

تبادل العلماء نظرة دهشة ، تحمل الكثير من الخجل ؛ لأنهم لم يتوصَّلوا إلى هذا التفسير البسيط ، واندفع أحدهم يقول :

- هذا لو أنه هناك طريقة لتنظيم احتراقه .

أشار الدكتور (جلال) إلى الشاشة ، وهو يقول فى انفعال :

- ربما هو أحد نتائج تنفس تلك النباتات العجيبة .. أو حتى ناتج لإحدى عمليات التمثيل الضوئى(*) ، أو ما يشبهها هناك .

هتف عالم آخر بنفس الانفعال :

- احتمال كبير .

استدار إليهم الدكتور (جلال) هاتفًا :

- ألا يمكنكم إعادة دراسة الموقف ، على ضوء تلك المعطيات الجديدة ؟!

أجابوه فى حماسة :

- بكل تأكيد .

سأل فى لهفة :

- وكم سيستغرق هذا فى رأيكم ؟!

(★) التمثيل الضوئى : عملية شديدة التعقيد ، تقوم فيها الأجزاء الخضراء من النباتات بتخليق الكربوهيدرات (مثل المواد السكرية) ، من ثانى أكسيد الكربون والماء ، فى وجود الكلوروفيل ، وبفعل ضوء الشمس .

أجابه كبيرهم فى سرعة وحزم :

ـ ثلاث ساعات .

سأله فى لهفة أكثر :

ـ ألا يمكن اختصارها إلى ساعتين ؟!

تبادل الرجال نظرة صامتة ، قبل أن يقول كبيرهم فى حزم :

ـ سنبذل قصارى جهدنا ، ولكننا لانستطيع أن نعد بإنجاز الأمر فى أقل من ثلاث ساعات .

تمتم الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ ثلاث ساعات ؟!

ثم انطلقت من أعماق صدره زفرة مريرة ، قبل أن يضيف :

ـ من يدرى ما الذى يمكن أن يحدث ، فى ظروف كهذه ، فى ثلاث ساعات ؟!

نعم .. من يدرى ؟!

من ؟!

* * *

فى قلب المعبد تمامًا ..

هكذا وجد (نور) و(أكرم) نفسيهما بغتة ، عندما تبدَّد الظلام والعدم من حولهما ..

كانا يقفان عند ذلك المذبح الدموى ، والكاهن الرهيب أمامهما مباشرة ، يتطلَّع إليهما بعينيه الناريتين المخيفتين ، ويفصلهما عنه ذلك الوعاء النحاسى الضخم ، الذى تتصاعد منه الأبخرة ، وخلفه يستقر إصبع الشيطان المخيف ، داخل صندوقه الزجاجى البدائى ..

وحولهما كان يقف الباقون ..

يقفون ذاهلين ، مبهورين ، داخل تلك الدوائر الفضية القاتلة ..

وفى لحظة ظهورهما المباغتة ، شهق الكل ..

وبكل فرحة الدنيا ، هتفت (سلوى) و(نشوى) فى آن واحد :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .



كانا يقفان عند ذلك المذبح الدموى ، والكاهن الرهيب أمامهما مباشرة ، يتطلع إليهما بعينيه الناريتين ..

أما (مشيرة) ، فبكت فى حرارة ، هاتفة :

ـ (أكرم) ! أنت حى .. أنت حى يا (أكرم) .

هَم (أكرم) بالاندفاع نحوها ، ولكن (رمزى) صاح به فى ارتياع :

ـ إياك أن تقترب منها .

سمَّرت الصيحة (أكرم) فى مكانه ، وجعلته يلتفت إليه ، هاتفًا فى عصبية :

ـ ولماذا ؟!

أجابه فى سرعة وتوتر :

ـ عبور تلك الدوائر الفضية من أى اتجاه ، يعنى كارثة .

ثم أشار إلى جثة المقاتل المحترق ، مستطردًا :

ـ انظرا بنفسيكما .

انعقد حاجبا (نور) بشدة، مع المشهد البشع، فى حين استلَّ (أكرم) مسدسه بحركة غريزية، واستدار يصوِّبه إلى ذلك الكاهن الرهيب، هاتفًا :

ـ أيها الوغد .

تألّقت عينا الكاهن أكثر، وحملتا لمحة ساخرة جعلت (أكرم) يضمّ شفتيه فى غضب هادر، و ...

« لاتضيع رصاصاتك هباءً يا صديقى ... »

قالها (نور)، وهو يمسك معصم (أكرم) فى قوة، مستطردًا :

إنها لن تقتله .

ثم أشار إلى الباقين مستطردًا :

ـ أضف إلى هذا أن رفاقنا فى قبضته .

« أنت أكثرهم ذكاءً إذن .. » ..

انبعث الصوت داخل عقل (نور) مباشرة، فانتفض

جسده فى عنف، وانعقد حاجباه فى شدة، وهو يحدّق فى ذلك الكاهن، الذى تألَّقت عيناه أكثر وأكثر ..

« أنت قائدهم .. » ..

مرة أخرى غاص الصوت، فى أعمق أعماق تلافيف مخه، فهتف :

ـ ألم تدرك هذا بعد ؟!

تطلَّع إليه الكل فى دهشة، وغمغم (أكرم) فى توتر شديد :

ـ ماذا أصابك يا (نور) ؟!

أشار إليه (نور) فى صرامة ليلزم الصمت، فتمتمت (سلوى) فى قلق بالغ :

ـ رباه ! ماذا ...

قاطعها (رمزى) فى خفوت، يحمل الكثير من الحزم :

ـ لا يتدخَّل أحدكم .

ثم أضاف ، وقد انتقل توترهم إلى صوته :

ـ إنه اتصال عقلى على الأرجح .

« تتصوَّر نفسك قادرًا على هزيمتى .. أليس كذلك ؟! »

تردَّد السؤال الساخر فى عقله ، والكاهن يتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، فشدَّ قامته فى اعتداد ، وقال :

ـ ولِمَ لا ؟!

أتاه ذلك الصوت فى عمق تلافيف مخه ، بإيقاع أكثر سخرية :

ـ لأنه مهما بلغ ذكاؤك ، ومهما بلغت عبقريتك ، فإنك لن تتفوق على ذكاء يحمل أكثر من مليون عام من الخبرة .

مليون عام ؟!

مليون عام ؟!!!!

مليون عام ؟!!!!!!

تردَّد الرقم فى رأسه ، وعيناه تتسعان ذهولاً واستنكارًا ..

هذا الرقم مستحيل !

حتمًا مستحيل !

لقد استنكر فى البداية قول السكان المحليين ، بأن هذا الكاهن يحيا منذ آلاف السنين !

فما بالك بالملايين ؟!

« هل يدهشك هذا ؟! »

العبارة اخترقت عقله أكثر سخرية وعنفوانًا ، فالتقى حاجباه بشدة أكثر ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

مهما يقال ، لن يمكنه تصديق هذا قط ..

مليون عام ؟!

مستحيل !

وألف مستحيل !

« تعال معى إذن .. »

جاء الصوت عميقًا رهيبًا هذه المرة ..

ثم حدث ما حدث بغتة ..

ودفعة واحدة ..

انسحب عقل (نور) بغتة خارج المعبد ..

بل خارج المكان والزمان ..

انطلق عكسيًا عبر العصور والأزمنة ..

مئات .. آلاف .. بل مئات الآلاف من السنين والأعوام ..

مليون عام دفعة واحدة ..

بل ملايين السنين ..

الديناصورات تملأ الأرض(*) ..

البراكين تتفجَّر فى كل مكان ..

النيران ..

المستنقعات ..

رائحة الأوزون القوية(**) ..

ثم فجأة ، انسحب عقله إلى الأمام ..

إلى العصر الجليدى الكبير ..

البلايستوسين(***) ..

(★) الديناصورات : مجموعة من الزواحف هائلة الحجم ، كانت تعيش فى حقب الحياة الوسطى ، فيما بين ٢٥٠ و ١٧٥ مليون سنة مضت ، كانت بعضها من أكلة اللحوم ، التى تفترس غيرها من الديناصورات النباتية ، بينما كان البعض الآخر يعيش فى الماء ..

(★★) الأوزون : غاز عديم اللون غير ثابت ، له رائحة قوية ينتج من الأشعة فوق البنفسجية ، وانبعاثات النشاط الإشعاعى على الأكسجين ، وجزيئه يحتوى على ثلاث ذرات أكسجين ..

(★★★) البلايستوسين : آخر أزمنة التاريخ الجيولوجى ، يمتاز بعصر الجليد الكبير ، بعده ظهر الإنسان على الأرض ، وبدأ تطوّره ، مع الثدييات المعروفة حاليًا ..

الجليد يغمر كل شىء ..

كل شىء بلا استثناء ..

التجمُّد ..

ثم البقاء فى حالة كمون لسنوات طوال ..

سنوات أطول مما ينبغى ..

وقفزة أخرى إلى الأمام ..

مرحلة أشبه بالتحوصل ..

حوصلة تحيط به ..

ويكمن داخلها ..

حالة أشبه بالسبات العميق ..

أو بالبيات الشتوى ..

مرحلة استغرقت ملايين الأعوام ..

ثم جاءت اليقظة هنا ..

فى قلب إفريقيا ..

منذ مليون عام ..

مليون عام ؟!

فترة كافية لاكتساب خبرات هائلة ..

وقوى هائلة ..

وكافية لإنشاء عقيدة جديدة ..

(الفودو) ..

وانسحب العقل بعنف أكبر ..

وسرعة أكثر ..

الحياة تتطوَّر بسرعة ..

والخبرات تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

والقوى أيضًا ..

استعراض سريع مخيف ، لنباتات رهيبة تنمو ..

تتضخَّم ..

تلتهم الحيوانات ..

والبشر ..

وبلا رحمة ..

القبائل كلها تنحنى صاغرة ..

الخوف يملأ النفوس ..

والقلوب ..

الزعماء ينحنون ..

و ...

فجأة ، عاد عقل (نور) إلى رأسه ..

وبمنتهى العنف ..

ارتدّ إليه كما لو كان لكمة قوية ، فارتجّ جسده فى عنف ، وتراجع كمن أصابته صاعقة ، وسقط على ظهره وسط المكان ، على نحو جعل (أكرم) يصوّب مسدسه مرة أخرى إلى الكاهن الرهيب ، هاتفًا :

ـ ماذا فعلت به أيها الـ ...

قاطعه (نور) فى ضعف ، مكررًا عبارته القديمة :

ـ ادخر رصاصاتك يا صديقى ..

صاح (أكرم) فى غضب ، وهو يلوّح بمسدسه صوب الكاهن :

ـ ولماذا ؟! ألمجرد أنه يحتجز رفاقنا .

تألقت عينا الكاهن أكثر وأكثر ، وانحنى يلتقط الجمجمة غير البشرية ، و ...

« إياك أن تفعلها .. »

صرخ (أكرم) بالكلمة ، وهو يضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت رصاصته ..

انطلقت فى نفس اللحظة ، التى سطع فيها ذلك الوميض ..

وبمنتهى الشدة ..

أغلق عينيه كالآخرين ، وهو يهتف فى غضب :

ـ ماذا سيفعل بنا هذه المرة .

راوده شعور عجيب بأنه يغوص فى مادة لينة ، شبيهة بالإسفنج ..

أو أكثر ليونة ..

ثم انتهى هذا الشعور بغتة ..

وعندما فتح عينيه ، كانوا جميعًا فى موقف جديد ..

(نور) مازال راقدًا على الأرض ، فى ضعف واضح ..

الباقون تحرَّروا من تلك الدوائر الفضية ، دون مبرِّر منطقى ..

المعبد مازال كما هو ، بمذبحه الدموى ، والوعاء النحاسى ، والجدران بنقوشها ..

ولكن الكاهن وإصبع الشيطان لم يعد لهما أثر ..

وفى لهفة اندفعت (مشيرة) تلقى نفسها بين ذراعى زوجها ، هاتفة :

ـ (أكرم) .. أخيرًا يا (أكرم) .. حمدًا للَّه .. حمدًا للَّه .

أما (سلوى) و(نشوى) و(رمزى) ، فقد أسرعوا إلى (نور) ، والأولى تسأله فى ارتياع :

ـ (نور) .. أأنت بخير ؟! أأنت بخير يا (نور) ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يتمتم ، مغلقًا عينيه :

ـ كل ما أحتاج إليه هو قليل من الاسترخاء والراحة .

سألته (نشوى) فى لوعة ، ودموعها تُغرق وجهها :

ـ بِمَ تشعر يا أبى .

صمت بضع لحظات ، قبل أن يبتسم ابتسامة باهتة شاحبة ، متمتمًا :

ـ وكأن مخى يحترق .

سأله (رمزى) ، فى اهتمام قلق :

ـ كان اتصالاً عقليًا .. أليس كذلك ؟!

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب فى استرخاء :

ـ كان تحديًا عقليًّا .

زفر الدكتور (حجازى) ، وكأنما يزيح عن كاهله عبئًا ثقيلاً ، وقال :

ـ اتركوه يسترخى قليلاً ، وسيعود كما كان .

انحنى (أكرم) يربّت على كتف (نور) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ استرخ ياصديقى .. بعد كل ما واجهناه ، أنت تستحق هذا .

سألته (مشيرة) فى لهفة :

ـ وما الذى واجهتماه ؟!

أجابها ، وهو ينهض فى اقتضاب :

ـ أهوالاً ..

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بهذا الجواب ، إلا أنه لم يلبث أن تابع مبتسمًا فى توتر :

ـ لو رويتها أنا لنفسى ، لما صدقتها .

قالت (مشيرة) فى حسم :

ـ ولكنك سترويها لى ، وبكل التفاصيل .

حدّق (أكرم) فى وجهها بدهشة ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ ماذا دهاك ؟! حتى فى ظروف كهذه ، تسعَيْنَ خلف خبر جديد .

هتفت فى حدة :

ـ إنها مهنتى .

أجابها الدكتور (عبادة) فى عصبية :

ـ أتبحثين عن خبر جديد ؟! خذى هذا الخبر إذن .

واحتدّ صوته ، وهو يضيف :

ـ لاتوجد هنا أية أبواب أو نوافذ .

سألته فى دهشة حذرة :

ـ ماذا تعنى ؟!

لوّح بذراعيه ، وهو يقول فى حدة ثائرة :

ـ أعنى أنه ليس هناك سبيل واحد للخروج من هنا .

هتفت (سلوى) فى ذعر :

مستحيل ! كيف دخلنا إذن ؟!

قال الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ تذكّرى أن أحدًا منا لم يدخل إلى هنا قط بأسلوب طبيعى .

تمتمت (نشوى) مبهوتة :

ـ يا إلهى ! هذا صحيح .

وهنا قال الدكتور (رمسيس) فى عصبية بالغة ، وهو يتحسّس الجدران :

ـ لو أردتم خبرًا أكثر أهمية وخطـورة ، فاستمعوا لى أنا .

استدارت العيون كلهـا إليـه ، فدار حول نفسـه لمواجهتها ، وشدّ قامته ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويقول فى حزم ، لم يفقد عصبيته بعد .

ـ هذا المعبد ليس ، ولم يكن قط فرعونيًا ..

وكانت مفاجأة حقيقية ..

مفاجأة تقلب مفاهيم الأمور كلها رأسًا على عقب .. وبعنف .

* * *



٦ ـ التحدّى ..

فى انبهار حقيقى ، وقف (أمجد) يتطلّع إلى شلال النار المنهمر ، قبل أن يتمتم فى خفوت :

ـ مستحيل ! مشهد لايمكن أن يراه المرء فى حياته مرتين .

أدار عينيه فيما حوله مرتين ، ليتأكّد من أنه لايوجد مسار آخر ، بخلاف ذلك الذى اتخذه ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ويتطلّع مرة أخرى إلى شلال النار ، قائلاً :

ـ لايوجد سبيل آخر .. ولكن هذا الطريق مغلق بجدار اللهب المنهمر هذا ، فكيف يتفق هذا وذاك ؟!

استرجع فى ذهنه كل ما مرّ به من آثار ، تؤكّد أن (نور) وفريقه اتخذوا كلهم ، أو بعضهم على الأقل ، المسار نفسه ..

ومثله لايحتاج إلى رؤية دلائل قوية ..

فقط غصن مكسور ، أو أوراق شجر مهشمة ، أو حتى قطرة دم ..

أى شىء كان يكفى خبيرًا مثله ؛ ليحدّد طريقه جيدًا ..

أى شىء ..

وفى موقفه هذا ، أمام شلال النار ، كان عليه أن يستنفر كل طاقته ..

وخبرته ..

وثقته ..

وفى هدوء حازم ، راح يفحص كل ما حوله بعين فاحصة ..

مدقّقة ..

خبيرة ..

وخلال عشر دقائق فحسب ، كان عقله قد رسم صورة استنباطية للموقف كله ، وهو يحدّث نفسه ، مغمغمًا :

- اثنان .. تراجعا .. ثم قفزا .. أحدهما سبق الآخر .. اعتدل يلتقط نفسًا عميقًا ، وهو يغمغم :

- عجبًا !

كانت الآثار التى رصدها فى المنطقة ، توحى بأن رجلين قد وثبا عبر شلال النار الرهيب هذا ..

ومن الناحية المنطقية ، بدا له هذا مستحيلاً ..

للغاية !

ومرة أخرى ، راح يتطلّع إلى شلال النار فى حيرة ..

إنه واثق تمامًا من خبرته فى قراءة الأثر ..

وفى إدراك مضمونه ..

ولكن هذا المضمون يبدو مستحيلاً ، أمام جدار اللهب هذا ..

إلا إذا ..

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستعيد عبارة شهيرة

للروائى المعروف (أرثر كونان دويل)(*) ، جاءت على لسان شخصيته البوليسية الأشهر (شيرلوك هولمز) ..

إذا ما استبعدنا المستحيلات ، فإن ما يتبقّى أمامنا هو الحقيقة ، مهما بلغت غرابتها ..

وهو هنا أمام موقف مستحيل !

ما من مخلوق واحد ، فى الكون كله ، يمكن أن يقفز بإرادته فى قلب النار ..

عاقلاً كان أم مجنونًا ..

فالله (سبحانه وتعالى) ، غرس فى نفس كل مخلوق حى مهابة النار ..

حتى الشياطين أنفسهم ..

(★) سير (أرثر كونان دويل) (١٨٥٩ - ١٩٣٠م) : روائى إنجليزى ، ابتدع شخصية (شيرلوك هولمز) ، أشهر شخصية أدبية بوليسية عرفها التاريخ ، كان طبيبًا ، ثم تفرّغ فترة للأدب ، قبل أن يعود مرة أخرى لمزاولة الطب .. فاقت شهرة شخصيته الأدبية شهرته ، فتوقّف فترة عن كتابتها ، ثم لم يلبث أن رضخ لضغوط القراء ، وعاد إليها مرة أخرى .

ولكن كل الآثار هنا تؤكِّد أن رجلين قد قفزا عبر النيران ..

والبعثة لاتضم معتوهًا واحدًا ..

الأمر يكمن إذن فى النار نفسها ..

النار ..

تطلَّع طويلاً مرة أخرى إلى شلال النار ، والتقط نفسًا عميقًا من الهواء الساخن ، الذى يؤكِّد أن مايراه حقيقة ، وعقله يكاد يلتهب من التفكير العميق ..

وبعينيه ، راح يدرس الأمر كله مرة أخرى ..

النار التى تنهمر من أعلى إلى أسفل ، بخلاف كل قوانين الطبيعة ..

الوهج المتراقص المنتظم ..

آثار الأقدام على الأوراق الجافة ..

ثم عاد حاجباه ينعقدان بمنتهى الشدة ..

فقد كان عليه اتخاذ قرار خطير ..

خطير إلى أقصى حد ..

ولكن طبيعته الحاسمة أنهت ذلك الصراع فى أعماقه بسرعة مدهشة ..

وبكل الحزم والحسم ، تراجع (أمجد) ، وعيناه لاتفارقان شلال النار ، و ...

وفجأة ، شعر بتلك الحركة خلفه ..

وبسرعة مدهشة ، استدار إلى مصدر الصوت ، وهو يستلّ خنجره ..

ثم تجمَّد فى وقفته هذه ، وهو يدير عينيه فى دستتين من الرماح البدائية ، اتجهت كلها نحو صدره ، مع ضعفها من السهام ، التى يصوِّبها إليه مقاتلون من الزنوج البدائيين ، طلوا وجوههم بطلاء مميَّز ..

طلاء الحرب ..

ولأن الشجاعة لاتعنى الحماقة ، فقد ألقى (أمجد) خنجره أرضًا ، وهو يرفع ذراعيه فوق رأسه ، قائلاً بلهجة ساخرة ، بدت عجيبة فى موقفه هذا :

ـ رائع .. كدت أتصوَّر أنه لايوجد بشر عاديون هنا .

ولم يبتسم مخلوق واحدة لدعابته ..

فقد كانت العيون كلها تحمل نظرة واحدة ..

نظرة مقاتلين خرجوا لهدف واحد ..

الموت ..

* * *

المفاجأة التى فجَّرها قول الدكتور (رمسيس)، جعلت (نور) يعتدل فى رقدته، وهو يقول فى دهشة :

- ليس معبدًا فرعونيًا ؟! ولكن البعثة السابقة ..

قاطعه الدكتور (رمسيس) فى انفعال :

- البعثة السابقة لم تكن تضمّ عالم آثار واحدًا ، لذا فقد خدعهم هذا الزيف هنا ، كما خدع الكل ، ونجح فى خداعكم أيضًا ..

ثم غلبته الحماسة المهنية ، وهو يشير بيديه إلى الجدران ، متابعًا :

- ما ترونه حولكم هو مجرَّد تقليد لمعبد فرعونى .. وليس حتى تقليدًا متقنًا .. بل ولا يمكن أن ينتمى إلى عهد أسرة بعينها ، من الأسر الفرعونية المعروفة ، فنقوشه هى مزيج من النقوش المستخدمة فى كل عهد ، وحتى الرسوم ، تبدو وكأنها خليط من كل أساليب الرسم ، التى تغيَّرت وتطوَّرت ، من عصر فرعونى إلى آخر .. والأدهى من هذا أن كل ما ترونه على الجدران لا يعنى شيئًا ، ومزجه بتعاويذ سحرة (الفودو) مجرَّد شكل وهمى ، مقصود به إبهار غير المتخصصين فحسب .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، مغمغمًا :

- إذن فكل هذا مجرَّد خداع .

مطَّ الدكتور (رمسيس) شفتيه ، وضغط الجدران بأصابعه ، قائلاً :

- خداع يفوق كل ما يمكنكم تصوّره ، فهذه الجدران ليست حجرية .

هتف الكل بدهشة عارمة :

- ليست ماذا ؟!

اندفعوا يتحسسون الجدران بدورهم ، وهتف (أكرم) فى عصبية :

- هذا صحيح .. إنها مادة أشبه بالبلاستيك .

وقالت (سلوى) فى حذر :

- ألياف زجاجية على الأرجح .

قال الدكتور (حجازى) :

- كلاَّ .. إنها باردة للغاية .

اندفع الدكتور (عبادة) ، يقول فى عصبية :

- ولكنها ليست بلازما هى الأخرى .

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، قائلاً فى حدة :

- ولِمَ لا ؟!

هتف فى حدة مماثلة :

- لأن أحدًا لايمكنه إنتاج كل هذه الكمية الهائلة من البلازما ، ولو حتى فى مليون عام .

كاد النقاش يحتدم بين الكل ، حول ماهية جدران المعبد ، لولا أن هتف (نور) فجأة فى صرامة :

- كفى .

هتافه أخرس كل الألسنة دفعة واحدة ، وجعل الكل يلتفت إليه فى تساؤل قلق متوتر ، فقال وقد امتزجت صرامته بحزم شديد :

- كل ما يحيط بنا عجيب ، ويتنافى مع كل ما عرفناه فى حياتنا .. دعونا نعتبر هذا حقيقة واقعة ، فى وقتنا الحالى ، وألا نضيع الوقت أو الجهد فى مناقشته ، أو الجدال بشأنه ؛ لأن هذا لن يفيد سوى خصمنا وحده .

والتقط نفسًا عميقًا ، ليضيف فى حزم أكثر :

- فلنستغل أن غرور خصمنا قد دفعه إلى جمعنا معًا ، ليكمل كل منا ما لدى الآخر من معلومات ، حتى تكتمل الصورة إلى حد ما معنا جميعًا .

قال الدكتور (حجازى) :

- أنت على حق يا (نور) .. وأظنك و(أكرم) أكثر حاجة لمعلوماتنا منا إلى معلوماتكما ؛ فقد قضينا هنا وقتًا أطول .

قال الدكتور (عبادة) فى عصبية :

- وما الذى عرفناه ، مع طول وجودنا هنا أيها العبقرى .

أجابه (نور) فى حزم :

- أية معلومة يمكن أن تصنع فارقًا كبيرًا ، فى ظروفنا هذه يا دكتور (عبادة) .

بدا الرجل منهارًا ، وهو يقول :

- فى رأيى أنه حتى كل معلومات الدنيا ، لن تصنع فارقًا صغيرًا .. لقد انتهى أمرنا تمامًا .. ذلك الشيطان يعبث بنا فحسب ، قبل أن يسحقنا سحقًا ، تمامًا مثلما يعبث القط بالفأر ، قبل أن يلتهمه .

تطلّع إليه (نور) فى صمت بضع لحظات ، ثم التفت إلى رفاقه ، قائلاً :

- حسن .. أريد أن أسمع ما لديكم .. وبكل التفاصيل ..

وفى نفس القاعة ، التى يقفون فيها ..

وفى نقطة مظلمة ، لايمكن أن تبصرها عيونهم الواعية ، كان الكيان الشيطانى كله يستمع ، ويشعر فى أعماقه بسخرية متفوّقة ..

يشعر أنه الأكثر ذكاءً ، وقوة ، وخبرة ..

وأنه المنتصر فى النهاية ..

حتمًا ..

* * *

بدا الغضب واضحًا ، على وجه رئيس تلك الدولة الإفريقية ، وهو يقف فى منتصف حجرة مكتبه الرئيسية ، مع مدير مخابراته ، معقود الحاجبين ، وكفاه خلف ظهره ، وعيناه تستقبلان وزير خارجيته فى صرامة ، شفّ عنها صوته ، وهو يقول :

- ما هذه الأخبار التى وصلتنى عنك أيها الوزير ؟!

شعر وزير الخارجية بقلق عارم ، وهو يلقى نظرة على مدير المخابرات ، قبل أن يسأل رئيس الجمهورية فى توتر :

- أية أخبار يا سيادة الرئيس ؟!

حمل صوت الرئيس كل غضب الدنيا ، وهو يقول :

- اتصالاتك السرية بذلك الكاهن المخيف ، فى منطقة (فو ـ كا) .

ارتجفت شفتا وزير الخارجية ، وألقى نظرة نقمة على مدير المخابرات ، قائلاً فى توتر عنيف :

- سيادة الرئيس .. أمور الدولة تحتم أحياناً ..

قاطعه الرئيس ، مكملاً فى غضب :

- التحالف مع الشيطان .. أليس كذلك ؟!

قال الوزير فى عصبية :

- بلى .. لست أول من يفعل هذا .. كل وزراء الخارجية السابقين ، كانت لهم اتصالات معه ..

قال الرئيس فى غضب :

- وهل أخفوا كلهم أمر تلك الاتصالات على رؤساء جمهوريتهم ؟!

قال الوزير فى حدة :

- هذا أمر تحتمه الظروف .

صاح الرئيس فى وجهه :

- بل هو خيانة للنظام كله .

انتفض الوزير ، وقال فى عصبية :

- سيادة الرئيس .. ذلك الكاهن هنا منذ الأزل .. من قبل أن نولد .. ومن قبل أن يولد أجدادنا .. ولجداد أجدادنا ، والوسيلة الوحيدة لتأمين شروره ، ومنعه من مد نفوذه وسيطرته إلى قلب الدولة ، هى التحالف معه .

تدخل مدير المخابرات عند هذه النقطة ، قائلاً :

- هراء .. ذلك الكاهن هنا منذ الأزل كما تقول ، ولكن لم يحدث قط أن تجاوز نطاق نفوذه ، حتى فى

عهد النظم السابقة ، التى لم تجر أية اتصالات معه ، ولكن ما حدث فعليًا هو أنك قد تطوّعت بنقل بعض أسرار الدولة إليه .

صاح الوزير فى عصبية بالغة :

ـ أسرار الدولة ؟! عن أية أسرار تتحدث يارجل .. ذلك الكاهن يعرف كل شىء .. كل الأسرار .

قال مدير المخابرات فى صرامة :

ـ لماذا ذهبت لتنقل إليه أسرار الدولة إذن ، مادام يعرفها كلها ؟!

لوّح الوزير بذراعه فى حدة ، قائلاً :

ـ تمامًا كما تبلغ دولة صديقة بشئونك ، التى تعلمها جيدًا .

قال الرئيس فى صرامة غاضبة :

ـ الخيانة هى الخيانة .

اتسعت عينا وزير الخارجية بدهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف فى حدة :

ـ خيانة ؟! عن أية خيانة تتحدثان ؟! لقد كنت أحاول حماية الدولة والنظام .. إنكما لاتعلمان شيئًا عن أصول التعاملات الدولية ، أو التفاوض مع الدول .

قال الرئيس فى غضب :

ـ ربما كانت لذلك الكاهن منطقة نفوذه ، ولكنها مازالت داخل حدودنا ، ولن نتعامل معه قط باعتباره دولة داخل دولة .

صرخ وزير الخارجية فى ثورة :

ـ إنكما لا تفهمان شيئًا !! ذلك الكاهن قادر على سحقنا جميعًا ، إذا ما أراد هذا .

ارتجف صوت الرئيس ، من فرط الغضب ، وهو يقول :

ـ أى شىء فى الدنيا لن يبرّر خيانتك .

صرخ وزير الخارجية مرة أخرى :

ـ إنها ليست خيانة !

ثم لوّح بسبابته فى وجهيهما مستطردًا فى حدة :

ـ ثم إننى لست الوحيد الذى يتصل به .

أشاح رئيس الجمهورية بوجهه فى حنق ، فى حين تطلّع مدير المخابرات إلى عين وزير الخارجية مباشرة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ رئيس الوزراء تم اعتقاله منذ ربع الساعة فقط ، ووزير الداخلية تم اعتقاله فى أثناء انتظارك مقابلة السيّد الرئيس .. الكل تم اعتقالهم بنفس التهمة .

عاد الرئيس يلتفت إليه ، مضيفًا فى صرامة غاضبة :

ـ أنت الأخير .

امتقع وجه وزير الخارجية ، عندما اندفع اثنان من رجال الحرس الجمهورى ، إلى حجرة مكتب الرئيس ، وأحاطا به بسلاحيهما فى صرامة متحفزة ، فنقل بصره بينهما ، عن يمينه ويساره ، قبل أن يتطلّع إلى مدير المخابرات ، قائلاً فى غضب هادر :

ـ إنهم المصريون .. أليس كذلك ؟!

لم يجب مدير المخابرات ، فاشتعل الغضب فى وجه الوزير وصوته ، وهو يقول :

ـ ستندمان على هذا .. ستندمان أشد الندم .. الكاهن سوف يسحقكما سحقًا .. وبلا رحمة .

أشار الرئيس بيده فى صرامة ، هاتفًا :

ـ خذاه .

دفع الجنديان وزير الخارجية أمامهما فى خشونة ، وما إن أصبح الثلاثة خارجًا ، حتى قال الرئيس فى غضب هادر :

ـ ليت البرلمان يعيد عقوبة الشنق ؛ ليدفع الخونة جزاء فعلتهم .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال فى توتر :

ـ من يدرى من سينال جزاء فعلته .

استدار إليه الرئيس بحركة حادة ، ثم مال نحوه ، يسأله فى عصبية :

ـ هل بدأت تؤمن بما يقولونه ، عن قدرات ذلك الكاهن ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ ومن أنكر قدراته ؟!

تراجع الرئيس بحركة حادة كالمصعوق ، فزفر مدير المخابرات فى توتر ، قبل أن يتابع فى حذر :

ـ ولكن البعثة المصرية تضم رجل المخابرات العلمية المصرى الأشهر (نور الدين) .. بطل حرب التحرير(*) .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يتابع :

ـ وكما ترى .. تلك الأحراش ، ومنطقة (فو ـ كا) كلها ، تمرّ بظروف غير عادية ، لم تمرّ بها من قبل ، حتى عندما اقتحمتها تلك البعثة المصرية الأولى ، وهذا يعنى أن ما يحدث الآن ، لم يحدث من قبل قط ..

والتقط نفسًا عميقًا ، ثم استطرد فى حزم :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦ .

ـ ولست أكذبك القول ، أو أبالغ فى تقدير الموقف ، عندما أقول إن شعبنا كله يتصورَ أن اقتحام بطل التحرير الأشهر لتلك الأحراش ، ومواجهته المباشرة لذلك الكاهن ، قد يكون فيها حسم للكثير والكثير من المواقف ..

بل لقد صار هذا هو أملهم الأخير ، فى التخلُّص من ذلك الرعب ، الذى تتوارثه الأجيال هنا ، مع وجود ذلك الشيطان منذ آلاف السنين .

سأله الرئيس فى خفوت ، يحمل الكثير من القلق والتوتر :

ـ هم يتصوَّرون هذا ، ولكن ماذا عن التصوّر الرسمى ، باعتبارك مدير إدارة المخابرات ؟!

مطَّ الرجل شفتيه ، وصمت لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ إننا نعتمد على كفاءة وخبرة المصريين .

ولم يسأله الرئيس سؤالاً آخر ، ولكن شيئًا ما فى أعماقه ارتجف فى عنف ..

شيئًا تساءل : هل يمكن أن ينحسم الأمر بالفعل ، بعد آلاف السنين ؟!

هل ؟!

* * *

ران صمت مهيب ، داخل ذلك المعبد ، فى قلب أحراش (إفريقيا) ، وبعد أن انتهى كل شخص من رواية ما لديه ، والتقى حاجبا (نور) فى تفكير عميق ، وعقله يقلّب كل ما سمعه على كل الوجوه ، ويرتبه ، وينمّقه ، ويضيف إليه تجربته الشخصية ، وإحساسه ، وكل ما سمعه ، أو رآه ، أو استقبله عقله ..

وأمام أحد جدران المعبد ، المصنوعة من مادة عجز الكل عن تحديد هويتها ، وقف يتطلّع إلى النقوش ، التى كشف الدكتور (رمسيس) أمرها ، فقال الدكتور (عبادة) فى عصبية ، قاطعًا ذلك الصمت :

- ماذا أصابكم ؟!

هتف به الدكتور (حجازى) فى خفوت صارم :

- اصمت يا رجل .. (نور) يفكّر .

هتف الدكتور (عبادة) ، فى عصبية أكثر :

- يفكّر ؟! أهذا كل ما سيفعله ؟!

أمسك (رمزى) معصمه بغتة ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

- نعم .. هذا كل ما سيفعله ، ولكن تفكيره هذا هو الذى ينقذنا من كل خطر نواجهه ، بعد رعاية اللّه (سبحانه وتعالى) .

أضاف الدكتور (حجازى) بنفس الصرامة الخافتة :

- وتفكيره هذا موهبة خارقة ، ونعمة من اللّه (سبحانه وتعالى) تفوق كل ما حصلت عليه أنت من دراسات ، وشهادات ، وخبرات .

أطلّ الاستنكار من عينيه ، فأضاف (أكرم) فى خشونة :

- ولو أنك سعيد الحظ ، فسترى هذا بنفسك .

لم يبد أن (نور) قد سمع حرفًا واحدًا مما قالوه ، بل ولم يبد حتى أنه يرى تلك النقوش على الجدار ، على مسافة متر واحد منه ، فقد بدت عيناه شاردتين ، وشفت كل خلجة من خلجاته عن تفكير عميق ..

عميق للغاية ..

ثم فجأة ، قال فى حزم :

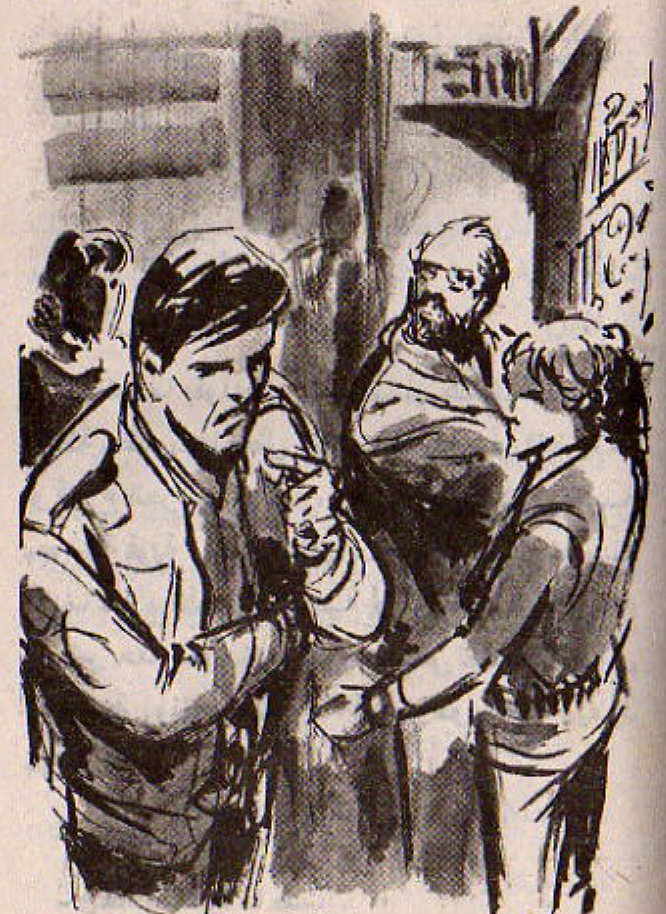
ـ خصمنا ليس بشريًا .

حدق فيه الجميع فى اهتمام ، وغمغم الدكتور (عبادة) فى عصبية :

ـ أهذا كل ما هداه تفكيره العبقرى إليه ؟!

استدار (نور) يواجههم فى حزم ، وتابع وكأنه لم يسمع ما قاله الدكتور (عبادة) :

ـ ربما جاء من عالم آخر ، أو كان أحد المخلوقات ، التى عمرّت الأرض ، قبل ملايين السنين ، أيام كانت الديناصورات هى كل سكان كوكبنا ، ولسبب ما ، لم يقض عليه التطوّر ، ولم يقتله العصر الجليدى ، بل مرّ لملايين السنين بمرحلة تحوصل .



لم يبد أن (نور) قد سمع حرفًا واحدًا مما قالوه ، بل ولم يبد حتى أنه يرى تلك النقوش على الجدار ..

قاطعه الدكتور (عبادة) ، وهو يهتف فى صرامة :

ـ مستحيل !

صاح به (رمزى) فى حدة :

ـ لا تقاطع (نور) .

قال الرجل فى عصبية :

ـ ولكن ما يقوله ليس منطقيًا أو علميًا فالتحوصل مرحلة تختصّ بها بعض الكائنات الدقيقة ، أو الفطريات ، أو أنواع الجراثيم الراقية ، وفيها يحيط الكائن نفسه بحوصلة قوية ، يكمن داخلها ، ويوقف نشاطه تمامًا ، عندما تتأزّم الأحوال البيئية أو المناخية من حوله ، وتستمر حالة تحوصله وكمونه ، حتى تتحسن الأحوال الخارجية ، وتناسب نموه ، فيزيل حوصلته ، ويعود إلى نشاطه .

قال (نور) فى حزم :

ـ وهذا بالضبط ما حدث .

هتف الدكتور (عبادة) مستنكرًا :

ـ لملايين السنين .

غمغم الدكتور (رمسيس) فى تردُّد :

ـ لقد عثرنا فى بعض المقابر الفرعونية على كائنات متحوصلة ، منذ آلاف السنين(*) ، ولكن ليس منذ الملايين .

هتف الدكتور (عبادة) :

ـ هذا بالنسبة للكائنات الدقيقة كما قلت ، ولكن كل مراجع الطب البيطرى ، وعلم البيولوجيا ، وعلوم الكائنات الدقيقة ، لم تشر إلى احتمال ، ولو ضئيل للغاية ، أن يكون هناك كائن بهذا الحجم ، يمتلك القدرة على التحوصل .

ثم لوّح بسبّابته فى وجه (نور) ، مستطردًا :

ـ وأتحداك أن تثبت العكس .

(*) حقيقة .

تطلّع إليه (نور) فى هدوء ، قائلاً :

ـ فلنؤجل التحديات والإثباتات إلى النهاية يا دكتور (عبادة) ، فعلى الرغم من ثقتى التامة بكل ما قلته ، نظرًا لتجربة عقلية منفردة ، إلا أننى لا أملك دليلاً واحدًا على صحته .

هتف الدكتور (عبادة) :

ـ أسمعتم ؟!

لكزه (أكرم) بمرفقه ، قائلاً فى صرامة :

ـ اصمت يا رجل ، واستمع إلى القائد .

عقد الدكتور (عبادة) حاجبيه فى حنق ، وأطبق شفتيه فى غضب ، فتطلّع إليه (نور) لحظة ، ثم تابع بنفس الحزم :

ـ لقد انتهت حالة تحوصله منذ مليون عام .. فترة طويلة للغاية ، لينمى قدراته وطاقاته ، وليكتسب قوى جديدة هائلة ، على رأسها قدرته المذهلة على

إنتاج أطنان من البلازما الصناعية ، ومزجها بقدرة هائلة على صنع الوهم المتحرّك .. تمامًا مثل ذلك العقرب ، الذى هاجم الدكتور (مينا) ، والعنكبوت الذى كاد يلتهمنا ، وأشياء عديدة أخرى ، أحاطت بنا فى كل مرحلة من مراحل هذه القضية ، التى لا تخضع لأية قواعد عهدناها فى عالمنا من قبل .

سأله (أكرم) فى انفعال :

ـ أتعنى أن كل ما مرّ بنا كان مجرّد وهم يا (نور) ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ وهم من نوع خاص للغاية .. نوع متطوّر ، لم نعهده من قبل .. ليس خداعًا بصريًا ، كالصور والمشاهد الهولوجرامية المجسّمة ، التى نصنعها بأشعة الليزر ثلاثية الأبعاد ، بل هى مزيج من البلازما ، التى أنتجها طوال مليون عام ، مع صورة وهمية تكسوها ، بحيث تبدو المشاهد حية واقعية ملموسة ، على الرغم من أنها مجرّد وهم .

هزّت (سلوى) رأسها فى توتر ، مغمغمة :

ـ من العسير أن أصدّق أن كل مامررنا به كان وهمًا .

قال (نور) فى حزم :

ـ دعينى أوضح الأمر أكثر ياعزيزتى .. هل تدركين كيف نشأت نظرية الموتى الأحياء ، أو (الزومبى) ، التى ارتبطت بسحر (الفودو) ؟! إننا نعلم ونؤمن جميعًا ، بأن الموتى لايعودون قط إلى الحياة ، إلا بإرادة الخالق (عزّوجلّ) ، ولكن البلازما مادة ملموسة بالفعل ، فإذا ماكساها قناع من الوهم ، لتبدو أشبه بالميت ، ثم تم تحريكها بوساطة قوى عقلية متطوّرة ، فإن هذا سيوحى بأن سحر (الفودو) قد أعادها إلى حالة بين الموت والحياة .. هذا بالضبط ماواجهناه .. مادة فعلية ، لها كيان حقيقى ، وتحرّكها قوى عقلية هائلة .. مادة قادرة على قتلنا بالفعل ، ولكنها تحمل هيئة وهمية لشىء يمكن أن يثير خوفنا ورعبنا .

هتف (أكرم) :

ـ إذن فذلك العنكبوت كان قادرًا على قتلنا بالفعل .

أجابه (نور) :

ـ بالتأكيد ، ولكن ليس بسم عنكبوتى حقيقى ياصديقى .. كان يكفى لقتلنا من شدة الرعب فحسب .. تمامًا كما حدث مع العلماء المصريين فى (القاهرة) .. علماء البعثة الأولى .

قال الدكتور (حجازى) فى اعتراض :

ـ هذا لايفسر أمر تلك المادة السوداء ، ذات العناصر المجهولة ، التى حلت محل دماء الدكتور (مينا) (رحمه الله) ، ولاذلك الوحش الرهيب ، الذى نبت منها ، ليلتهمها كلها فى نهم ، والتى ماكنا سنكتشف غرابتها ، لو لم تتبق العينة ، فى جهاز التحليل الإليكترونى .

ابتسم (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـ كانت هذه هى الخدعة الكبرى ، التى استلزمت كل البراعة يادكتور (حجازى) :

هتف الطبيب الشرعى بكل الدهشة والاستنكار :

ـ مستحيل يا (نور) ! لقد قمت بتحليلها بنفسى .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، قبل أن يقول :

ـ بل قام جهاز التحليل الإليكترونى بهذا يا دكتور (حجازى) .

هتف الدكتور (عبادة) فى عصبية :

ـ وما الفارق ؟!

قال فى حزم :

ـ فارق كبير ، فالأجهزة الإليكترونية أسهل فى الخداع .

قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

ـ جانبك التوفيق هذه المرة يا (نور) ، فالجهاز الذى قام بتحليل العينة ، جهاز حديث للغاية ، ونسبة الخطأ فيه تقلّ عن واحد فى المليون .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ الجهاز لم يخطئ ، ولكنه خُدِع .

هتف الدكتور (عبادة) :

ـ وكيف ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ منذ حدث هذا ، وأنا أتساءل عن سبب المبالغة الشديدة فى الموقف .. دماء سوداء ، ووحش غريب ، ونيران .. مشهد عنيف للغاية ، للتخلُّص من جثة ، كان يمكن أن تحترق أمام أعينكم ، دون أن يملك أحدكم وسيلة واحدة لمنع هذا .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) ، وهو يغمغم :

- هذا صحيح .

أما الدكتور (عبادة) ، فتساءل فى عصبية :

- لماذا حدث كل هذا إذن ؟!

أجاب (نور) بنفس السرعة :

- لتشتيت الانتباه .

اتسعت العيون كلها فى دهشة حائرة ، فتابع فى حماسة :

- لقد كان هذا الأمر يشغلنى بشدة منذ حدوثه ، فالدكتور (فريد) والدكتورة (عبلة) قتلهما الرعب وحده .. رؤية ذلك الكاهن الرهيب ، مع المظاهر المخيفة التى أحاطت به ، قتلتهما رعبًا .. ثم جاء مصرع الدكتور (مينا) على نحو مختلف تمامًا .

غمغمت (نشوى) فى حيرة متوترة :

- ولكننا شاهدنا كل هذا بأنفسنا .

قال (نور) :

- شاهدنا عشرات العقارب الحمراء تهاجم الجميع .. ثم أدركنا بعدئذ أن العقارب التى هاجمتنا ، والتى شعرنا بأقدامها تتسلق ملابسنا وأجسادنا فى وضوح ، كانت مجرد وهم .. حتى العقرب ، الذى تصورنا أنه قد قتل الدكتور (مينا) ، انسحق تحت قدم (أكرم) ، وترك حفنة من البلازما فحسب .

هتف الدكتور (حجازى) :

- ما الذى قتل الدكتور (مينا) إذن ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- الرعب يادكتور (حجازى) .. نفس الرعب الذى قتل رفيقيه .. أما ما رأيناه جميعًا من اسوداد وجهه وانتفاخه ، فلم يكن سوى وهم خداعى فائق .. حتى عينة الدم الأسود ، والوحش العجيب .. كلها مزيج من الخداع والبلازما ، وقدرة العقل المذهلة على التحريك .. لهذا احترقت الجثة عن آخرها ، واحترق الوحش معها ،

حتى يستحيل إدراك الخدعة ، التى تهدف إلى إقناعنا بحدوث تغيرات مادية فى جسد الضحية ، وإبعاد أذهاننا عن فكرة الوهم الفائق .

هتف الدكتور (عبادة) معترضًا :

ـ فلنفترض أن قدرته على خداع حواسنا قد جعلتنا نرى الدماء العادية وكأنها سائل أسود لزج .. كيف أمكنه إقناع جهاز تحليل العينات الإليكترونى بهذا أيضًا .

أجابه (نور) :

ـ لم يكن بحاجة إلى هذا ، فالعينة التى فحصها الجهاز كانت بالفعل لمادة سوداء لزجة ، غير معروفة فى عالمنا .. أو بمعنى أدق ، فى زمننا هذا .. مادة كان لها وجود فى الأزمنة السحيقة ، منذ ملايين السنين .. ربما هى نتاج عملية تطوّر قشرة الأرض نفسها ، أو هى بقايا نيزك هوى من الفضاء الخارجى يومًا ما ، فى أثناء تكوُّن كوكبنا .. المهم أنه قد تم استبدالها بعينة الدم ، فى أثناء انشغالكم بالظواهر الوهمية المخيفة ،

حتى تكتمل الخدعة ، ويصبح لدينا دليل على حدوث تغيرات مادية .

هزّت (سلوى) رأسها فى حيرة ، قائلة :

ـ وما الغرض من إثبات هذا ، أو بذل الجهد لإقناعنا به ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

ـ لأنه يعلم أننا أذكياء بدرجة كافية ، بحيث يمكننا كشف حقيقته ، وإزاحة القناع ، الذى يُحكم به سيطرته على المنطقة كلها ، منذ آلاف السنين .. لهذا كان لابد أن يدمر كل الوثائق والصور والأفلام الخاصة بالبعثة الأولى ، وأن يستعيد كل شىء ، وإلا لأدركنا بعد حين ، طال أم قصر ، أن قوته كلها تكمن فى الوهم .. الوهم الملموس ، الذى لم يعرفه علمنا قط .

قال الدكتور (رمسيس) فى توتر ، وهو يتحسس جدران المعبد مرة أخرى :

- هل تعنى أنه من المحتمل أن يكون كل هذا مجرد وهم ؟!

عقد (نور) ساعديه أمام صدره فى حزم صارم ، وهو يقول :

- إنه كذلك بالتأكيد .

ثم التقى حاجباه ، مضيفًا فى حزم أكثر ثقة :

- ولو أردتم رأيى ، فهو لم يغادر المكان أبدًا .. إنه هنا .. يراقبنا ، ويستمع إلينا ، ويدرس ردود أفعالنا .. و ...

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يضيف :

- ويتميز غضبًا ؛ لأننا قد كشفنا أمره .

لم يكد ينطق العبارة الأخيرة ، حتى ارتجت جدران المعبد فى عنف ، وبدا وكأنها ستنهار على رءوس من بداخله ، فانطلقت صرخاتهم المذعورة ، فيما

عدا (نور) و(أكرم) .. الثانى تلفت حوله فى توتر بالغ ، وهو يقبض فى عصبية على مسدسه ، الذى لم تعد خزانته تحوى سوى رصاصة واحدة ..

والأول وقف ثابتًا ، قويًا ، متماسكًا ، تطل من عينيه نظرة صارمة ، تفيض بالحزم والتحدى ..

ثم انهارت الجدران ، وانهار سقف المعبد فجأة ..

لم تسقط كلها كجدران ، أيًا ما كانت ماهيتها ..

وإنما ككتلة ضخمة من البلازما ..

كتلة شبه سائلة ، حمراء ، لزجة ، تهاوت وانتشرت بين أقدامهم فى سرعة ، حاملة معها الدليل على صدق كل كلمة نطق بها (نور) ..

فهناك ، وفى نفس موضعه السابق ، كان يقف ذلك الكاهن الرهيب ..

وخلفه ، وعلى عمود من الرخام ، استقر (إصبع الشيطان) ، داخل صندوقه الزجاجى البدائى ..

والكل يقفون وسط الأحراش مباشرة ..

وكان هناك آخرون ..

جيش من الزنوج البدائيين ، يصوبون إلى (نـور) ورفاقه أسلحتهم ..

« ما ترونه الآن ليس وهمًا .. »

انطلق الصوت صارمًا ، جافًّا ، غاضبًا ، فى أعمق أعماق مخ (نور) ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وعيناه ترصدان أسنة الرماح ، ورءوس السهام الحادة ..

فكلها ، فى تلك اللحظة ، كانت تحمل له ولرفاقه الموت ..

الموت وحده ..

وبلا رحمة ..

* * *

٧ ـ ثــورة ..

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، وهو يطالع النتائج ، التى تراصت أمامه على شاشة الكمبيوتر ، فى مركز الأبحاث العلمية ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ هذا التقرير غير قابل للتصديق .

أجابه كبير العلماء فى حزم :

ـ مهما بدا عجيبًا ، فهو ما توصّلنا إليه ، بعد أن درسنا كل شىء ، وفحصنا كل النتائج .

ثم اكتسب صوته ثقة وصرامة ، وهو يضيف :

ـ هذه الأحراش كلها ليست سوى نمط خداعى متفوِّق ، لم تبلغه علومنا بعد ، وكل ما تحويه ليس نباتيًّا ، بل وليس حتى حقيقيًّا .. إنه مزيج عجيب ، يتكوَّن فى أساسة من البلازما والفسفور ، مع مجموعة من عناصر نادرة أخرى .

حدّق الدكتور (جلال) فى النتائج على الشاشة ، وغمغم بصوت لم تفارقه الدهشة بعد :

ـ بلازما وفسفور ، بكل هذه الكمية .

وصمت لحظة ، ثم هتف مستنكرًا :

ـ مستحيل !

أجابه كبير العلماء :

ـ هذه الاستحالة العلمية هى ما أربكنا فى البداية ، لولا أن اتفقنا على أننا أمام حالة غير نمطية ، وينبغى أن نتعامل معها بأسلوب وتفكير غير نمطى .. ومن هنا فقط تفتحت أمامنا الحقائق ..

وأشار إلى شاشة الكمبيوتر ، مستطردًا فى حسم :

ـ فى عالمنا ، وبإمكانياتنا المتطوّرة المعاصرة ، من المستحيل إنتاج كل هذه الكمية من البلازما ، فإنتاج مثلها ربما يحتاج إلى ما يقرب من مليون عام .

غمغم الدكتور (جلال) مستنكرًا :

ـ مليون عام .

أجابه كبير العلماء فى حزم :

ـ نعم .. مليون عام .. وهذا يضعنا أمام احتمالين ، لا ثالث لهما .. إما أن يكون خصمنا من عالم آخر ، يفوق تطوّرنا ألف مرة على الأقل ، أو أنه كان لديه الوقت الكافى لإنتاج كل هذه الكمية .

قال الدكتور (جلال) فى استنكار أكثر :

ـ كان لديه مليون عام ؟!

أجابه كبير العلماء :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنه عاصر حضارة سابقة أيضًا ، خلال هذه الأعوام المليون .. حضارة بلغت أوجها ، قبل أن تفنى ، وتفسح الطريق لحضارتنا هذه ، التى لم تبلغ فيها ما بلغته تلك الحضارة السابقة بعد ، وهذه نظرية علمية قديمة ، يكشف العلم فى كل يوم ما يؤيّدها(*) ..

(★) حقيقة ، فهناك شواهد عدة على وجود حضارة قبلنا ، بلغت درجة مذهلة من التقدم العلمى ، ثم فنيت لأسباب خارجية ، أو لحروب داخلية ساحقة شاملة ..

بدأ اعتراض الدكتور (جلال) يتخاذل ، وهو يغمغم :

ـ وكيف لم يفن معها ؟!

أجابه عالم آخر فى انفعال :

ـ لنفس السبب الذى جعله يحيا لملايين السنين .. لأنه يمتلك القدرة على التحوصل ، أو الكمون طويل المدى ..

ثم أضاف كبير العلماء فى حزم :

ـ لاحظ أن العلم والحفريات الجيولوجية تكشف حتى الآن ، أشكالاً وألواناً من الحياة ، التى سادت الأرض ، منذ ملايين السنين ، والتى لم نكن ندرى بوجودها قط ، فما بالك بأشكال الحياة التى فنيت بالكامل ، دون أن يصلنا عنها دليل واحد ؟!

صمت الدكتور (جلال) طويلاً ، وهو يفكّر فيما سمعه ورآه ، قبل أن يغمغم فى خفوت شديد :

ـ إذن فأنتم تستبعدون نظرية القادم من عالم آخر .

أجابه كبير العلماء فى ثقة :

ـ إنه لن يحمل معه أطناناً من البلازما والفسفور ،

فقط ليحيط نفسه بعالم وهمى ، ينطوى داخله لآلاف السنين .

أومأ الدكتور (جلال) برأسه متفهماً ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .

تبادل العلماء نظرة صامتة ، قبل أن يتنحنح أحدهم ، قائلاً :

ـ هناك مشكلة أخرى .

سأله الدكتور (جلال) فى قلق :

ـ وما هى ؟!

أجابه فى حذر :

ـ النشاط الإشعاعى الحيوى ، المنبعث من تلك الأحراش ، بلغ حده الأقصى ، ولم يعد يشبه ذلك الخاص بعمليات الهضم .. لذا فقد استعنا بخبير نفسى ، متخصّص فى تفسير الانبعاثات الحرارية الحيوية .

سأله الدكتور (جلال) ، فى لهفة أشدّ قلقًا :

ـ وماذا قال ؟!

أجابه كبير العلماء هذه المرة :

ـ أولاً ، قال : إن الأحراش تموج الآن بأعداد كبيرة من البشر ، لم يكونوا هناك فى التسجيلات السابقة .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يحاول إيجاد تفسير لهذا ، متسائلاً فى حذر قلق :

ـ وثانيًا ؟!

تبادل العلماء نظرة صامتة أخرى ، قبل أن يجيب أحدهم :

ـ أن الانبعاث الحرارى الحيوى ، يشبه ذلك الذى ينبعث من شخص مختلّ عقليًا ، وغاضب إلى أقصى درجة ، ويسعى لـ ..

لم يستطع إكمال عبارته ، من شدة توتره وتردده ، فهتف به الدكتور (جلال) :

ـ لماذا ؟!

صمت العالم لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ـ للقتل .

واتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ، وانتفض جسده كله بعنف ..

بمنتهى العنف ..

* * *

لدقيقة كاملة ، لم يتحرك أحد ، أو ينبعث حرف واحد من أى مخلوق ..

لا (نور) ورفاقه ، ولاجيش الزنوج البدائيين ، الذى يصوب إليهم أسلحته ..

وطوال تلك الدقيقة ، كان (نور) يتطلع إلى عينى ذلك الكاهن الناريتين مباشرة ، فى تحد صارم قوى ، قبل أن يقول فى غضب :

ـ والآن ماذا ؟!

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يلوح بمسدسه :

ـ (نور) .. أهذا وهم أيضًا ؟!

غمغمت (سلوى) فى رعب :

ـ إنه يبدو لى حقيقة .

غمغمت (نشوى) :

ـ وأنا أيضًا ..

ولم ينبس الدكتور (عبادة) ، أو الدكتور (حجازى) ، أو الدكتور (رمسيس) ، أو حتى (رمزى) بحرف واحد ، وهم يديرون عيونهم فى ذلك الجيش البدائى الرهيب ..

أما (مشيرة) ، فقد هتفت فى سخط :

ـ أكان من الضرورى أن يتعطَّل عمل آلة التصوير ؟!

التفت إليها (أكرم) فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف فى حنق :

ـ يا للنساء !

ثم يسأل (نور) مرة أخرى ، فى عصبية أشد :

ـ أهذا وهم أم حقيقة يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بل حقيقة يا صديقى .. حقيقة .

« لقد أثبت أنك أكثر ذكاءً ، من كل من تعاملت معهم فى حياتى الطويلة بالفعل .. »

انبعث الصوت الغاضب داخل عقل (نور) ، الذى ازداد انعقاد حاجبيه ، دون أى تعليق ، فواصل الصوت فى غضب أكثر :

ـ الآخـرون عجـزوا عـن استيعاب حقيقتى .. لا أحد أمكنه أن يتخيَّل الأمر .. كلهم خدعهم العالم الوهمى ، الذى أحيط نفسى به ، ولم يمكنهم رؤية الحقيقة .

قال (نور) فى صرامة :

ـ والآن سقط القناع ، وانكشفت الحقيقة .

بدا له الصوت ، الذى يتردَّد داخل عقله ، وكأنما أضيفت إلى الغضب فيه رنة ساخرة ، وهو يقول :

ـ الحقيقة ؟! كلاَّ أيها العبقرى .. لقد توصَّلت إلى الكثير ، ولكنك لم تصب كبد الحقيقة بعد .

وانعقد حاجبا (نور) بشدة أكثر وأكثر ، عند هذه النقطة ..

لم يصب كبد الحقيقة ؟!

هناك أمر ما مازال ينقصه إذن ..

أمر حيوى للغاية ..

أمر يصنع الفارق ، بين معرفة التفاصيل ، وإصابة كبد الحقيقة مباشرة ..

ولكن ما هو ؟!

ما هو ؟!

« لاتجهد نفسك ؛ لأنك لن تكشفه قط .. مهما بلغت عبقريتك .. »

لم يسمع الآخرون العبارة ، التى التقطها عقل (نور) وحده ، ولكنهم سمعوه جميعًا يقول فى صرامة :

ـ أهذا تحد آخر ؟!

بدت عليهم الحيرة ، ولكن أحدهم لم يعلّق أو يعترض ،

وقد أدركوا أن حوارًا خاصًا خفيًا ، يدور بين عقله وعقل خصمه وحدهما ، والذى قال فى سخرية :

ـ اعتبره كذلك .. اعتبره التحدّى الأخير .

مع آخر العبارة ، التى ترددت فى عقل (نور) ، رفع الكاهن يديه ، وبينهما تلك الجمجمة غير البشرية ، فتألقت عيون الزنوج المحيطين به ، وجذب بعضهم أوتار الأقواس ، فى حين رفع الآخرون رماحهم فى تحفُّز ، وذلك الصوت الشامت يتابع ، فى أعمق أعماق عقل (نور) :

ـ الذى سيدفن معكم جميعًا .. هنا .

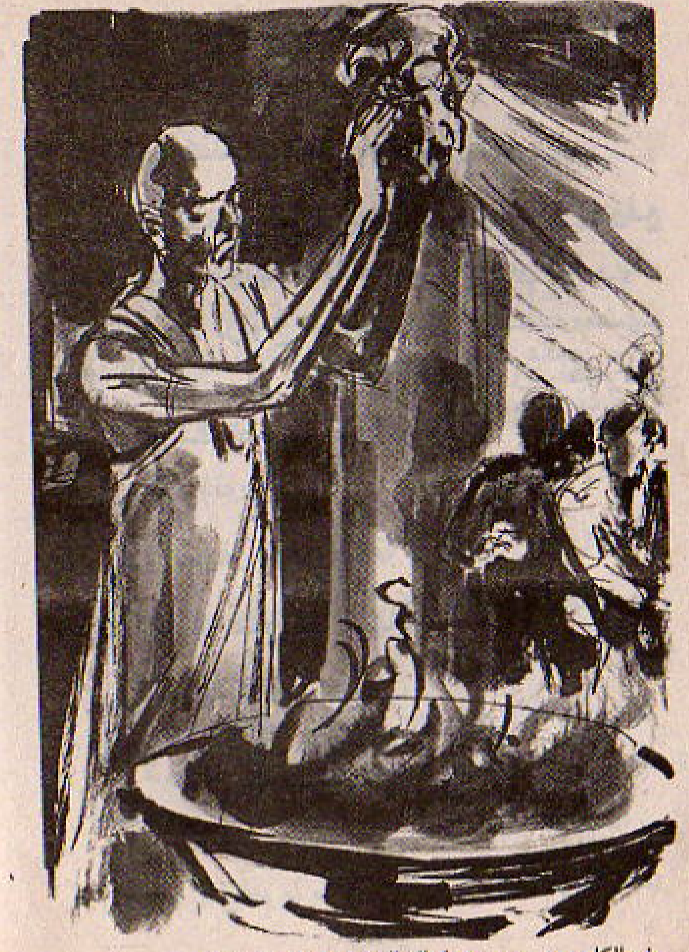
وبدا من الواضح أنها النهاية ..

نهاية عملية الكاهن الرهيب ..

ونهاية (نور) .. وفريقه ..

تمامًا ..

* * *



رفع الكاهن يديه ، وبينهما تلك الجمجمة غير البشرية ..

رياح عجيبة ، تلك التى بدأت تهبّ على عاصمة تلك الدولة الإفريقية ، مع اقتراب منتصف الليل ..

رياح ساخنة ، قوية ، تحمل رائحة عجيبة مخيفة ..

رائحة الخطر ..

والشر ..

ومن خلف نافذة حجرته الكبيرة ، وقف رئيس الدولة ، يراقب تأثير تلك الرياح على أشجار حديقته ، وهو يتمتم فى توتر بالغ :

ـ إننى لم أشهد رياحًا كهذه منذ مولدى .

تمتم مدير المخابرات ، الواقف إلى جواره :

ـ وأنا أيضًا .

التفت إليه الرئيس ، متسائلاً :

ـ هل بلغتك أية معلومات ، عن رد فعل رجل الشارع العادى ، إزاء هذه الرياح العجيبة ؟!

أومأ مدير المخابرات برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ الوقت متأخرّ ياسيادة الرئيس ، وغدًا يوم عمل ، لذا فقد أوى الكل تقريبًا إلى بيوتهم ، والخوف يملأ نفوسهم ، من هبوب هذه الرياح ، فى الليلة التى يتصوّرون أنها ليلة الحسم .

غمغم الرئيس :

ـ ليلة الحسم ؟!

أجابه مدير المخابرات :

ـ نعم ياسيادة الرئيس ؛ فلسبب ما عجز خبراء علم النفس عن تفسيره ، يوقن الشعب كله أن المواجهة بين المصرى (نور الدين) ، بطل التحرير ، وذلك الكاهن الرهيب ، ستحسم حتمًا ذلك الرعب ، الذى طال لآلاف السنين .

قال الرئيس فى قلق :

ـ السؤال هو : ستحسم لصالح من ؟!

قال مدير المخابرات :

ـ الأمل يراود الشعب ياسيادة الرئيس .

سأله :

ـ الأمل فى ماذا ؟!

أجاب مدير المخابرات فى سرعة :

ـ فى التحرُّر .

تنهَّد الرئيس ، وتمتم فى خفوت :

ـ ليت هذا يحدث .

ثم هزَّ رأسه ، مستطردًا فى مرارة :

ـ وكم يؤسفنى أن يأتى الخلاص على يد المصريين ، وليس على يدنا نحن .

تمتم مدير المخابرات :

ـ المهم أن يأتى .

أومأ الرئيس برأسه مؤيِّدًا ، وهو يتمتم بخفوت شديد :

ـ صدقت .

واعتدل ، يتطلع إلى أشجار حديقته ، وهى تتمايل بشدة ، وتتساقط بعض أوراقها الجافة ، بتأثير الرياح الساخنة ، قبل أن يقول فى توتر أكثر سخونة :

- فلنأمل أن ينحسم الأمر لصالحنا نحن .

التفت إليه مدير المخابرات فى دهشة ، فأضاف فى حزم :

- نحن البشر .

وكانت عبارته صادقة تمامًا ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

توتر عنيف ، ذلك الذى سرى فى جسد (أكرم) وأصابعه تكاد تعتصر مقبض مسدسه ، الذى لم تعد خزانته تحوى سوى رصاصة واحدة ..

أما الباقون ، فقد اتسعت عيونهم فى رعب ، وهم

ينتظرون الموت برمح قديم ، أو سهم يخترق العنق ، أو يغوص فى القلب ..

هذا لأن الزنوج ، الذين يحيطون بهم ، ويتحفزون لقتلهم ، بتلك الأسلحة البدائية ، كانوا يبدون مسلوبى الإرادة ، خاضعين لتأثير ذلك الكاهن الرهيب تمامًا ..

ولقد برقت عينا الكاهن أكثر وأكثر ..

وحملتا كل الشر ..

والغضب ..

والشماتة ..

والجمجمة غير البشرية ، التى بين يديه ، بدأت تتألق ..

وتتألق ..

وتتألق ..

و ...

وفجأة ، انطلق ذلك الرمح ، يشق هواء الأحراش بمنتهى القوة ..

وأمام عيون الجميع ، اخترق تلك الجمجمة ، وانتزعها من بين يدى الكاهن ، وطار بها لثلاثة أمتار أخرى ، قبل أن يسقط معها ، وينغرس فى الأرض ، وسط الأغصان المتشابكة ..

واستدارت العيون كلها فى سرعة ، إلى المصدر ، الذى انطلق منه ذلك الرمح ..

وخاصة عينا الكاهن الغاضبتين ، اللتان اشتعلتا بكل غضب الجحيم ..

وكانت (مشيرة) أول من هتف ، فى دهشة وفرحة بلاحدود :

- سيِّد (أمجد) .

حدَّق الكل فى (أمجد صبحى) ، الذى برز من بين الأحراش ، قائلاً بابتسامة ساخرة :

- مرحبًا أيها السادة .. هل أدهشتكم رؤيتى هنا ؟!

هتف (أكرم) :

- بل أسعدتنا فى الواقع يا سيِّد (أمجد) .

وسأله (نور) فى حذر متوتر :

- ولكن كيف ؟! كيف أتيت إلى هنا ؟!

هزَّ (أمجد) كتفيه ، مجيبًا بابتسامة ، لاتتناسب قط مع الموقف :

- بمظلة .

اشتعلت عينا الكاهن أكثر وأكثر ، وخاصة بعد أن بدا وكأن جيش المقاتلين البدائيين الزنوج الذى يتبعه ، قد أفاق من سبات شيطانى عجيب ، فور انتزاع الرمح للجمجمة غير البشرية من بين يديه ، فقد انخفضت الأسهم ورءوس الرماح ، مما جعل الدكتور (عبادة) يهتف فى انفعال :

ـ رباه ! لقد تأجلت لحظة موتنا .

رفع الكاهن ذراعيه فجأة ، وبدا وكأن عيناه قد اشتعلتا بنيران حقيقية ، استعاد معها سيطرته على جيش الزنوج ، فهتف (أمجد) فى سخرية :

ـ مهلاً أيها الأراجوز(*) .. استعادة السيطرة ليست بالأمر السهل ، فأنا لم آت وحدى .

بدت الحيرة على وجوه الكل ، مع عبارته هذه ، وغمغم (نور) فى حذر :

ـ ماذا تعنى يا سيِّد (أمجد) ؟!

عقد (أمجد) ساعديه القويين أمام صدره ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ يمكنك أن تقول : إننى أقود ثورة أيها المقدَّم .

ومع قوله ، برز جيش آخر من الزنوج من حوله ..

(*) الأراجوز : المهرج الشعبى باللغة العامية المصرية ، وأصل الكلمة (قراقوز) .

جيش صوَّب أسلحته إلى الكاهن ، والزنوج المحيطين به ..

جيش طلاوجهه بطلاء الحرب ..

وفى هدوء مستفز ، تابع (أمجد) :

ـ لقد فاض الكيل ببعضهم ، وقرَّروا الثورة على تلك الديكتاتورية الشيطانية ، التى سيطرت على أجدادهم لآلاف السنين .

« ثورة ؟! يا للسخافة .. »

سمع (نور) العبارة فى أعماق عقله ، فغمغم فى صرامة :

لكل شىء نهاية .

أتاه ذلك الصوت رهيبًا ، قاسيًا ، صارمًا ، غاضبًا ، وهوَ يقول ، بعبارة لم يسمعها سوى عقل (نور) وحده :

ـ وبداية أيضًا .

ومع آخر القول ، رفع الكاهن ذراعيه مرة أخرى ، ثم فتح فكيه عن آخرهما ، فانطلق من بينهما لسان من نار ..

لسان رفيع طويل ، أضاء المكان كله ، فانطلقت صرخات الزنوج فى ألم وقوة ..

ومن الجانبين ..

الجيشان معًا راحا يطلقان صرخات ألم هائلة ، والكل يفلت أسلحته ، ويرفع كفيه ليمسك جانبى رأسه ، وكأنما اخترق لسان اللهب هذا عقولهم جميعًا ، وأذاب أمخاخهم بلارحمة ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت (سلوى) :

ـ ماذا ؟! ماذا يفعل بهم ؟

وانهار الدكتور (عبادة) هاتفًا :

ـ إنها النهاية .. إنها النهاية ..

ولوَّح (أكرم) بمسدسه فى توتر ، وهو لايدرى

ما الذى يمكنه أن يفعله ، فى حين تراجع الدكتور (حجازى) والدكتور (رمسيس) بحركة آلية ، وصرخت (نشوى) رعبًا ، وهتفت (مشيرة) فى حنق :

ـ لماذا تعطَّلت آلة التصوير ؟! لماذا ؟!

وفى حركة سريعة ، وثب (أمجد) يلتقط رمحًا آخر ، وهتف ، وهو يقذفه نحو الكاهن بكل قوته :

ـ لن تنتصر أيها الوغد .

تساقط الزنوج من الجانبين فاقدى الوعى ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الرمح القوى ، وغاص فى جسد الكاهن ، لينفذ من ظهره ، فى مشهد رهيب ولكنه لم يسقط ..

فقط ، اشتعلت عيناه أكثر ، وهو يخفض ذراعيه ، وينتزع الرمح من صدره فى بطء ، جعل (مشيرة) تتمتم فى رعب :

ـ رباه ! إنه لايموت بالفعل .

وانعقد حاجبا (نور) و(أمجد) فى شدة ، أمام تلك الظاهرة غير البشرية ، و ...

وفجأة ، ألقى الكاهن الرمح نحو (أمجد) ..

وبكل قوته ..

وبرد فعل سريع ، مال (أمجد) جانبًا ، وانحنى متفاديًا ذلك الرمح ، الذى انغرس فى جذع الشجرة خلفه ، ولكنه لم يكد يعتدل ، حتى التفَّت أغصان الشجرة نفسها نحوه ، وضمته إليها فى قوة ، فهتف (نور) :

ـ يا إلهى ! السيِّد (أمجد) ..

أتاه ذلك الصوت العقلى ، يقول فى شماته :

ـ إنه غبى .. لقد تحدى قوتى وخبراتى .. لذا فسيموت .. تمامًا كما ستموتون جميعًا .

صاح (نور) فى صرامة :

ـ أقنعتك كلها سقطت أيها الحقير .. وهمك لم يعد قادرًا على خداعنا .

بدا الصوت ساخرًا واثقًا ، وهو يقول ، داخل عقل (نور) مباشرة :

ـ الوهم مجرَّد وسيلة .. وسيلة أبعدت عنى الكائنات الضخمة منذ ملايين السنين .. وسيلة منحتنى عشرات التابعين ، الذين لا همَّ لهم سوى خدمة وحماية سيِّدهم .. أنا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. التابع يخدم ويحمى سيِّده .

ثم ارتفع صوته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ولكنك أسقطت كل تابعيك أيها الأحمق .

حمل الصوت سخرية الدنيا كلها ، وهو يتردّد فى عقل (نور) ، قائلاً :

- مازال هناك تابعون آخرون ..

خُيّل إليه أن العبارة قد انتهت بضحكة ساخرة شيطانية عجيبة ، امتزجت بصيحة (أكرم) :

- رباه ! الرفاق .. ماذا أصابهم يا (نور) ؟!

واستدار (نور) بحركة حادة ..

ثم انتفض جسده كله فى عنف ..

فأمامه مباشرة ، وباستثناء السيّد (أمجد) ، الذى يقاوم أغصان الشجرة القوية فى استماتة ، و(أكرم) الذى يتراجع فى ارتياع ، كان الجميع يتقدّمون نحوه ، وعيونهم تشتعل كعيون ذلك الكاهن ، وملامحهم تحمل الشر ..

كل الشر ..

لقد كانت ثورة شيطانية ، يسيطر خلالها خصمه على عقول الباقين ، ويدفعهم نحو هدف يحقّق له الانتصار ..

نحو قتل (نور) ..

وبلا رحمة .

* * *



٨ـ الختـــام ..

فجأة ، انقضّ الرفاق على (نور) و(أكرم) ..

انقضوا بغضب عجيب ، وشراسة بلاحدود ، وعيونهم تشتعل بنظرة ذلك الكاهن الرهيب ، وكأنما استقرّ فى كينونتهم ، وسيطر على عقولهم ومشاعرهم ، ليدفعهم إلى الهجوم على رفيقيهما ..

وتمزيقهما إربًا ..

ومن موقعه ، الذى يقاوم فيه أغصان الشجرة الحية فى استماتة ، شاهد (أمجد) (نور) و(أكرم) يتراجعان أمام رفاقهما ، وهما عاجزان عن مواجهة هجومهم الشرس ..

وكان باستطاعته أن يفهم دقة وحساسية الموقف ..

فكم كان داهية ذلك الكاهن ، عندما سيطر على عقول الآخرين ..

من المستحيل أن يقاتل (نور) زوجته ، أو ابنته ، أو رفاق عمره !

مستحيل !

و(أكرم) أيضًا ، لن يطلق النار على رفاقه ..

حتى ولو كان الثمن حياته ..

كل ما فعله (أكرم) ، هو أن راح يتراجع ، هاتفًا :

ـ لا .. لا تدفعونى إلى العنف ..

ولكنهم لم يسمعوه ، وإنما انقضوا ، وهاجموا ..

وبمنتهى الوحشية ..

أما (نور) ، فقد انطلق عقله فى اتجاه آخر تمامًا ..

لقد فهم ما حدث فور حدوثه ..

فهم أن خصمه قد استغل وجود رفاقه فى قبضته ، فشفى جراحهم وإصاباتهم ، ليسيطر على عقولهم ، ويسلبهم إرادتهم ، من أجل لحظة كهذه .. ثم فجأة ،

وهو يستعد لصد هجوم رفاقه فى يأس ، تفجَّرت فى عقله عشرات المشاهد والعبارات والأحداث ..

التابع يخدم ويحمى سيِّده ..

الوهم مصدر قوته ..

الوهم يحميه من المخلوقات الكبيرة ..

الكاهن لم يتم رصده حراريًا فى المتحف ، على عكس الإصبع ..

إصبع الشيطان ..

الكاهن صنع به أمورًا يعجز العقل عن تصديقها ، كما قال الدكتور (مينا) ..

الكل يخافه ..

ويخشاه ..

الكاهن أعلن وجوده ليستعيده ..

والتابع يحمى ويخدم سيِّده ..

يحمى ويخدم سيِّده ..

يحمى ويخدم ..

وفجأة ، أضىء عقله كله دفعة واحدة ، على نحو جعله يصرخ فى (أكرم) بكل قوته :

ـ رصاصتك يا (أكرم) .. رصاصتك الأخيرة .

صاح (أكرم) ، وهو يتفادى انقضاضة رفاقه الأخيرة :

ـ مستحيل يا (نور) ! لن أطلق عليهم رصاصة واحدة .

مال (نور) جانبًا متفاديًا انقضاضة الدكتور (عبادة) ، ولكن المقاتل (أشرف) وثب نحوه ، وأسقطه أرضًا ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، فصرخ (نور) بكل قوته :

ـ الإصبع يا (أكرم) .. إصبع الشيطان .

لم يكن هناك وقت أو مجال للتفكير ، والمناقشة ، والفهم ..



ولكن رصاصة (أكرم) كانت تعرف طريقها جيدًا ..
وبمنتهى الإحكام ..

لذا ، فلم يكد (أكرم) يسمع صرخة (نور) ، حتى استدار بكل كيانه ، ورفع فوهة مسدسه ، و ...

وأطلق رصاصته ..

رصاصته الأخيرة ..

واشتعلت عينا الكاهن الرهيب ، وهو يتحرك فى سرعة ، وكأنما يحاول حماية الإصبع ..

ولكن رصاصة (أكرم) كانت تعرف طريقها جيدًا ..

وبمنتهى الإحكام ..

والدقة ..

وأمام عينى (أمجد) ، نسفت رصاصة (أكرم) ذلك الصندوق الزجاجى البدائى ..

ثم نسفت إصبع الشيطان نفسه ..

وكثعبان قاتل ، طار إصبع الشيطان فى الهواء ، وهو يتمزَّق إلى نصفين ، وتفجَّر منه سائل أزرق ، تناثر فى الهواء ، الذى انطلقت فيه صيحة مكتومة رهيبة ، قبل أن يسقط الإصبع مسحوقًا على الأرض ..

ومع سقوطه ، انهار كل شىء بغتة ..

الأشجار ..

والنباتات الضخمة ..

والأغصان القوية ..

وحتى ذلك الكاهن الرهيب ..

ففى لحظة واحدة ، وجد (أمجد) نفسه يتحرَّر ، وكل شىء من حوله يذوب ، ويتحولُ إلى بحيرة ضخمة من البلازما الحمراء ، راحت الأرض تمتصها فى شراهة ، فى نفس اللحظة التى تجمَّد فيها الكاهن ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ثم ذاب فجأة ، وانسكب وسط بحيرة البلازما ، التى أحاطت بكل شىء ..

وفى نفس اللحظة ، تحرَّر الرفاق أيضًا ..

تحرَّرت عقولهم ومشاعرهم ، وحدَّقوا فى بعضهم فى دهشة وذعر ، ثم حدقوا فى بحيرة البلازما التى تحيط بهم ، قبل أن تهتف (سلوى) :

ـ رباه ! ماذا حدث ؟! ماذا أصاب كل شىء ؟!

نهض (نور) ، وأزاح المقاتل (أشرف) ، ثم اتجه فى حزم نحو إصبع الشيطان ، الذى مزَّقته رصاصة (أكرم) ، وأشار إليه ، قائلاً فى حزم :

ـ دعونى أقدِّم لكم خصمنا الرئيسى .

حدَّق الكل فى بقايا الإصبع الممزَّق ، قبل أن يهتف الدكتور (حجازى) فى ذهول :

ـ وماذا عن الكاهن ؟!

اعتدل (نور) ، قائلاً فى صرامة :

ـ لقد انتهى .. ذاب ، فلم يكن كغيره سوى تابع صورة وهمية ، الغرض منها أن تحمى السيِّد الحقيقى .. ذلك الإصبع .. إصبع الشيطان ..

وكانت مفاجأة عنيفة ومذهلة ..

وبكل المقاييس ..

* * *

« كائن نادر ، عاش على الأرض منذ ملايين السنين .. »

نطق الدكتور (جلال) العبارة ، وهو يواجه أفراد الفريق ، فى مقرهم الخاص ، فى مبنى المخابرات العلمية ، فى (القاهرة) ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، ليضيف :

- العجيب أنه قد تم العثور على بقايا كائنات مماثلة ، فى حفريات قديمة ، ولكن العلماء تصوَّروا أنها بقايا مبتورة لبعض الكائنات النادرة ، ولم ندرك ، إلا بعد فحص بقايا ذلك الإصبع ، أنها كائنات حية متكاملة .

هزَّت (سلوى) رأسها ، قائلة :

- لست أدرى كيف تمكَّن (نور) من استنتاج هذا ؟!

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- هو منحنا كل وسائل تدميره ، دون أن يدرى يا عزيزتى .. هو الذى حشا خزانة (أكرم) بالرصاصات ليثبت تفوقه ، وهو الذى قال : إن مهمة التابع أن يحمى ويخدم سيِّده .. وفى لحظة بعينها ، استعاد عقلى تلك العبارة ، مع كل الأحداث الغامضة الأخرى ..

تذكَّرت حديث أفراد البعثة الأولى فى رعب عن إصبع الشيطان ، وقول السكان المحليين : إن الكاهن لا يموت أبدًا .. والحديث عن موته عشرات المرات ، ثم عودته إلى الحياة مرة أخرى .. تذكَّرت كيف ظهر بغتة فى القاعة الجديدة فى المتحف ، وكيف أن أجهزة الفحص الحرارى لم تلتقط أية علامة للحياة من جسده ، فى حين أنها أشارت إلى أن الإصبع نفسه يبث حرارة تشبه ماتبثه الأجساد الحية .. ثم تذكَّرت فجأة أيضًا عبارة أخرى ، قال فيها ، عبر عقلى مباشرة ، إن قدرته على الوهم تحميه دومًا من الكائنات الكبيرة .. كل هذا تراص فى عقلى فجأة ، فاستنتجت الحقيقة .

تمتم (أكرم) مبهورًا :

- ويا لها من حقيقة !!

تابع (نور) :

- لقد أدركت عندئذ أن الكاهن ليس هو السيِّد .. إنه فقط التابع الوهمى ، الذى يواجه به إصبع الشيطان الكل ، والصورة القادرة على إرهابهم وإخضاعهم ..

صورة وهمية صنعها لتناسب الموقف ، نظرًا لصعوبة أن يخضع الكل لكائن ضئيل ، فى حجم وهيئة إصبع بشرى .. وهذا هو سر قوة ذلك الكاهن .. إنه مجرد وهم .. وهم شبه مادى ، لايمكن تدميره أو قتله ، ما دام العقل الذى ينجبه لايزال على قيد الحياة .. وهم يحمى الكائن الضئيل من الكبار ، كما حماه منذ ملايين السنين من عصر الديناصورات الضخمة .

قالت (نشوى) فى انبهار :

ـ إذن فقد كان ذلك الإصبع كائنًا متكاملاً ، يحيا لملايين السنين ، ويمتلك عقلاً جبارًا .

وهنا قال الدكتور (جلال) :

ـ خبراؤنا يقولون : إن أسلافه لم يكونوا كذلك ، ولكنه دُفِنَ فى نفس الموضع ، الذى دفنت فيه حضارة سابقة كبسولة خاصة ، تحوى كل علومها وفنونها ونماذج من تقنياتها المتطوِّرة ، كوسيلة لإعلام الحضارات القادمة بأمر وجودها يومًا .. ولكى تحيا هذه الكبسولة لملايين السنين ، أضيف إليها جهاز

بث قوى للغاية ، يطلق أشعة وموجات خاصة ، لم نكشف هويتها بعد ، لتحديد موقعها ، وجذب انتباه أية حضارة متطوِّرة إليها .. تلك الموجات ، الشبيهة بموجات (جاما) على الأرجح ، ظلَّت توثِّر على الكائن المتحوصل لملايين السنين ، مما غيَّر من تركيبه الأساسى ، وصنع منه تلك الطفرة ، التى حوَّلته إلى كائن عبقرى ، طويل العمر إلى درجة تقارب الخلود ، ويمتلك قدرات عقلية مذهلة ، تزيد عشرات الأضعاف على ما امتلكه أسلافه ، منذ ملايين السنين .. ولقد عثرنا بالفعل على بقايا تلك الكبسولة ، مدفونة فى الموقع الذى كانت تحتله محرقة المعبد الوهمى .. وعلى عمق عشرة أمتار .. لقد استهلك ذلك الإصبع الشيطانى معظم محتوياتها ، ومنها تلك الجمجمة غير البشرية ، التى تركتها لنا الحضارة السابقة ، كدليل على اتصالها بكائنات من كواكب أخرى فى أوجها ، وبذور النباتات التى لم يعرفها عالمنا قط ، وجهاز بث الموجات الشبيهة بموجات (جاما) ، والذى كان السبب الرئيسى فى انقطاع الاتصالات ، وتوقف كل الآلات والأجهزة الإليكترونية ، التى تقع فى مجالها .

قال (رمزى) :

ـ عظيم .. إذن فقد أدى سقوط تلك الشر إلى كشف حضارة سابقة عظيمة .

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ من المؤسف أن معظم ماتحويه الكبسولة قد تلف ، بفعل عوامل الزمن ، ولكن ما تبقَّى فيها كثير ، وكثير جدًا .. ولقد شكلنا لجنة مشتركة ، من علمائنا ، وعلماء تلك الدولة الإفريقية ، لكشف مايمكن الاستفادة منه ، مما تبقى فيها .

تنهَّدت (سلوى) ، واسترخت فى مقعدها ، قائلة فى ارتياح :

ـ لقد شاهدنا الأهوال هذه المرة ، ولكن من حسن الحظ أن انتهى كل شىء بسلام .

غمغم (نور) فى أسى :

ـ بعد كومة من الضحايا للأسف .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً :

ـ لكل معركة ضحاياها ، ولكن المهم أنكم قد قضيتم على شر عذَّب أجيالاً عديدة لآلاف السنين ، حتى إن شعب تلك الدولة يعتبركم أبطاله الآن .

وابتسم ، قبل أن يستطرد :

ـ ورئيس دولتهم يصرّ على منح الجميع ميداليات الشرف .

غمغم (أكرم) فى ضجر :

ـ إننى أكره الرسميات .

ابتسم (نور) ، متمتمًا :

ـ كلنا هذا الرجل .

ابتسم الدكتور (جلال) أكثر ، وهو يقول :

ـ ربما ينطبق هذا على معظمكم ، فأنتم هنا ، تنشغلون بعملكم عن حفلات تكريمكم ، والسيِّد (أمجد) عاد إلى عمله بعد تقديم تقريره للسيِّد الرئيس ، والدكتور

(محمد حجازى) عاد لفحص حالات الطب الشرعى الحرجة ، ويشارك خبراؤنا فى فحص بقايا إصبع الشيطان ، وكل ما تم الحصول عليه من البلازما ، التى ملأت الأحراش الحقيقية هناك ، ولكن الدكتور (رمسيس) يتحدّث فى كل مكان عن عبقريته ، فى كشف زيف المعبد ، ويصدر الآن كتاباً عن ارتباط إصبع الشيطان بمولد عقيدة سحرة (الفودو) ؛ ليؤكّد فيه أنه المسئول عن مولدها .

سأله (أكرم) فى لهفة :

- وماذا عن الدكتور (عبادة) ؟!

ضحك الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- من العجيب أن تلقى أنت بالذات هذا السؤال ؟!

سأله (أكرم) فى توتر حذر :

- ولماذا ؟!

أجابه مبتسمًا :

- لأن زوجتك السيّدة (مشيرة) ، تجرى معه الآن ، وفى هذه اللحظة بالذات ، لقاءً على الهواء مباشرة ، ليتحدّث عن البعثة ، ودوره الخطير فيها ، وشجاعته الفائقة فى كشف حقيقة إصبع الشيطان .

صاح (أكرم) مستنكرًا :

- فى كشف ماذا ؟! ولكن (مشيرة) تعرف ما كان عليه الرجل هناك بالفعل .

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

- إنها تعلم بالطبع .

ثم غمز بعينه ، وابتسم مستطردًا :

- ولكن المشاهدين لايعلمون .

انعقد حاجبا (أكرم) فى حنق ، فى حين انطلق الباقون يضحكون فى مرح ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها ضحكاتهم فى (القاهرة) ، كان ضوء الشمس يغمر تلك المنطقة من

الأحراش الطبيعية ، فى قلب (إفريقيا) ، والتى انهمكت فيها فرقتان من العلماء المصريين والأفارقة ، فى فحص بقايا كبسولة زمنية ، تركتها لنا حضارة سادت الأرضَ قبلنا ، منذ ملايين السنين ..

وهناك ، عند قاعدة شجرة قديمة ، وتحت ضوء الشمس ، الذى لم تشهده المنطقة منذ آلاف السنين ، كان غلاف حويصلة صغيرة يذوب ..

حويصلة ظلت كامنة ، فى الظروف غير الطبيعية ، التى عاشتها المنطقة ، لأعوام طوال ..

مليون عام ..

تقريبًا .

* * *

[تمت بحمد الله]